## قبسات من سورتي

# الحمد والقدر

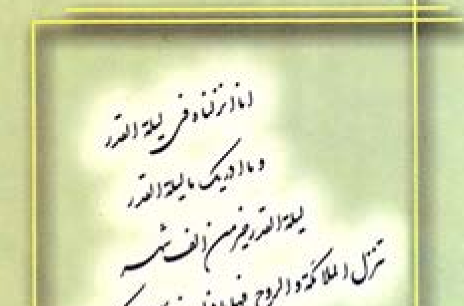


مُحمَّدُ اليَزْدِيّ

# قبسات من سورتي

# الحمد والقدر

شبكة كتب الشيعة
shiabooks.net
mktba.net < رابط بديل

مُحمَّدُ اليَزْدِيّ

بسم الله الرحمن الرحيم

یزدی، محمد، ۱۳۱۰ -

قبسات من سورتي الحمد والقدر / محمدالیزدی. - قم: نصایح، ۱۳۸۱

۱۲۰ ص. ISBN 964 - 6377 - 97 - 1

فهرستنویسی بر اساس اطلاعات فیپا.

عربی.

کتابنامه به صورت زیرنویس.

۱. تفاسیر (سوره فاتحه). ۲. تفاسیر (سوره قدر). ۳. تفاسیر (بسم‌الله الرحمن الرحیم). الف. عنوان.

۲ ق ۳۷ ی / ۱۲ / BP ۱۰۲ ۲۹۷ / ۱۸

کتابخانه ملی ایران ۸۱ - ۴۳۸۵ م

ISBN 964 - 6377 - 97 - 1

9 789646 377974 >

انتشارات نصایح


## هوية الكتاب


الهاتف ۷۷۴۴۴۳۹ - فكس ۷۷۴۶۲۹۱



اسم الكتاب ........................ قبسات من سورتي الحمد و القدر

المؤلّف ...................................... محمّداليزدی

المطبعة ............................................. كيميا

تصميم الغلاف ...................................... مرتضوي

صف و إخراج .............................. أبوالنور والصريفی

عددالنسخ ................................... ۳۰۰۰ مجلد

حجم، عددالصفحات ............................... رقعي، ۱۲۰

الطبعة ............ الثانية - صفر المظفّر ۱٤۲۲ هـ.ق ۱۳۸۱ هـ.ش

الثمن .......................................... ٤٥۰ تومان



الجمهوريّه الإسلاميّه في إيران

قم الساحة الشهداء: الشارع المعلّم، جماعةالمدرسين

رقم الهاتف: ۷۷٤۳۳۱۰ ۰۲۵۱



حقوق هذاالاثر متعلق بالمؤلف

## قبسات من سورة الحمد

مقدّمة ........ ١٠
القرآن وما القرآن؟ ........ ١١
فاتحة الكتاب ........ ١٦
سورة فاتحة الكتاب ........ ١٨
مفردات البسملة ........ ١٨
مسألة لابدّ من العناية بها ........ ٢٠
معنى البسملة ........ ٢٢
معنى الحمد والمدح ........ ٢٥
ربّ العالمين ........ ٢٦
مالك أو مَلِك؟ ........ ٣٠
معنى اليوم ........ ٣١
القرآن مالك أو ملك ........ ٣٢
معنى العبادة ........ ٣٦
معنى الهداية ........ ٣٩

معنى الصراط ........ ٤١
حمدٌ في الختام ........ ٥٨

## قبسات من سورة القدر

المقـدّمة ........ ٦٠
بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ........ ٦٢
بسم الله ........ ٦٣
الرحمن الرحيم ........ ٦٤
إِنّا أنزلناهُ في ليلة القدر ........ ٦٨
معنىٰ النزول ........ ٦٨
ماهو مرجع الضمير؟ ........ ٧٢
فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ........ ٧٩
ليلة القدر واحدة ........ ٨٤
الفرق بين التكوين والاعتبار ........ ٨٩
وما أدراك ماليلة القدر ........ ٩٢
ليلة القدر خيرٌ من الف شهر ........ ٩٦
أوصاف ليلة القدر ........ ٩٦
تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ........ ١٠٠
نزول الملائكة في ليلة القدر ........ ١٠٠
إلىٰ أيّ مكان تنزل وفي أي محلّ تستقرّ الملائكة في ليلة القدر؟ ١٠٤

القدر؟ ........................ ١٠٤
إلىٰ مَنْ تنزل الملائكة؟ ........................ ١٠٥
ماذا تفعل الملائكة في الأرض ليلة القدر؟ ........................ ١٠٦
سلامٌ هي حتّىٰ مطلع الفجر ........................ ١٠٩
خصيصة أُخرىٰ لليلة القدر ........................ ١٠٩
بحث روائي ........................ ١١٥

# قبسات من

# سورة الحمد

**مقدّمة:**

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتديَ لولا أن هـدانـا الله، وأفضل الصلاة والسلام على النبيّ المصطفىٰ وآله الأطهار.

قد اطّلعَ علىٰ هذه الأوراق المكـتوبة عـلىٰ سـبيل التـذكرة في الجلسة الأُسبوعيّة لتفسير سورة الحمد، ولدي الفاضل الشيخ عـبدُ المجيد واستجاز طبعها؛ فراجعتُها فإذا هـي عـلىٰ مسـتوىً يـناسب الموافقة، فأجزتُ راجـياً مـن الله تـعالى أن يجـعلها مـن البـاقيات الصالحات، وأن يرزقنا رضوانه ويهدينا إلىٰ صراطٍ مستقيم.

محمّد اليزدي

٢٤ / ٦ / ٧٣هـ ش

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

## القرآن وما القرآن؟

الحمد لله الذي نزّل الفرقان علىٰ عبده ليكون للعالَمين نذيراً، والصلاة والسلام علىٰ مَن أرسله بالهُدىٰ ودين الحقّ ليُظهره على الدين كلّه ولو كره المشركون، وعلى آله وأهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً.

من المعلوم أنّ كلام الله تعالىٰ وكتابه الكريم صادر عن علمه الذي هو عين ذاته، المتعالي المطلق غير المتناهي[1]. وإذا كان المصدر

---

١) حتّىٰ عن الإطلاق والتناهي والصدور، وقد تطرّقنا إلى البحث حول حقيقة الصدور المعبّر عنه بالوحي أو الإنزال والتنزيل، كما تشير إليه الآيات: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ﴾ (٢ يونس: ١٠) ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ۝ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ (٤ و ٥ النجم: ٥٣) ﴿قُلْ

←

مطلقاً غير متناهٍ، فالصّادر أيضاً ـ غير كونه صادراً ـ غير متناهٍ، والمتناهي لا يقوىٰ علىٰ شيء إلّا حسب قدرته وتناهيه. فالإنسان ـ كائناً من كان ـ لا يتمكّن من الإشراف علىٰ ذلك الكتاب، والإحاطة بجميع جوانبه، ولكنّه يتمكّن من الاستضاءة بنوره، والاهتداء بهداه ـ حسب طاقته وارتقائه ـ بعد نزوله.

كما أنّ من المعلوم أنّ ذلك الكتاب قد استُمع من لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن بين شفتيه، فكان يتلو عليهم آياته فيكتبها الكُتّاب من عليّ بن أبي طالب عليه السلام وغيره ويحفظها آخرون، وما كان صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ الكتاب، ولا يخطّ بيمينه من قبل(١).

ولكلّ كلمة أو كلام أبعاد ثلاثة: صوتٌ عند التلفّظ أو صورة عند الكتابة، وتركيبٌ طويل أو قصير مؤلّف من حروفٍ وكلمات يتقدّم أو يتأخّر بعضها على الآخر، ومقصود عناه المتكلّم أو الكاتب

﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ..﴾ (٦ فصّلت: ٤١)

﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ (١ إبراهيم: ١٤).

١) ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ (٤٨ العنكبوت: ٢٩).

بإلقائه على السامع أو القارئ وإفهامه إيّاه يقال له المعنى[١].

وذلك الكلام النفسيُّ المقصود الذي يلقيه المتكلّم أو الكاتب، بل المشير إلى المخاطب مطلق متّسع النطاق، لصاحبه أن يلقيه بألفاظ مختلفة وتراكيب متفاوتة وألحان متغايرة يستغلّها اللافظ ويُحدِّدها المتكلّم أو الكاتب، بل المشير بما يستخدم في إلقاءاته، فيخرج عن اختياره ويقع في متفاهم المخاطب، ورُبَّ مستمعٍ لا ينال ما أراده المتكلّم كما ترى في اختلاف درك التلامذة لأُستاذ واحد في دراسة واحدة أو اختلاف فهم الأشخاص لخطيب في خطبة واحدة.

فالمستفاد من كلّ كلام وكتاب يمكن أن يكون هو المقصود للمتكلّم أو الكاتب أو بعضاً منه، أمّا أنّه هو المعنى بتمامه دون نقصٍ وزيادة فهذا غير مؤكّد، وكيف بالقرآن الكريم الصادر عن مبدأ الوحي والمسموع صوته الأوّل من لسان رسول الله ﷺ ثمّ من سائر القرّاء، والمكتوب خطّه الأوّل بواسطة كُتّاب الوحي ثمّ من سائر

---

١) حسب قصد المتكلّم معنىً، وحسب فهم السامع مفهوم، ورُبَّ اختلاف بينهما في الواقع، ولا سبيل إلى المعنى إلّا من المفهوم وكيفيّة الكلمات والجُمَل مع مجموع القرائن والشواهد الحالية المقالية يُسهِّل فهم المعنى، ويقلّل الفصل بينهما إلى زواله.

الكتّاب ؟

وتـركيب الكـلمات ونـظْم الجُـمل، مـثل مـعانيها المـقصودة ومفاهيمها الملقاة أيضاً، صادر عن ربّ العـزّة وخـالق الكـلمة(١)، ولذلك لا يتمكّن غيره من الاتيان بها، حتّى بسورة من مثله.

وحيث لم يمكن الوصول إلى تلك المعالي للممكنات فقد نزّلها الله تعالىٰ، فتنزّلت المقاصد العالية والمعاني المتعالية من صنع علم الأُلوهيّة إلى تلك الكلمات على قلب رسول الله ﷺ وخرجت مـن لسـانه حتّى يتمكّن العباد من الوصول إليها والاستنارة بنورها والاهـتداء بهداها على حسب قُدرتهم، وأمّا الوصول إلى عمق المقصود وكُـنْه المعنىٰ فغير ممكن مع أنّه قد نزل بلسانٍ عربيٍّ مبين(٢).

---

١) عن بعضٍ: لابدّ من الإحاطة بخمسة عشر عـلماً عـلىٰ درجـة الإتـقان حـتّى يتمكّن صاحبها من الاستفادة من القرآن في الجملة، مثل علم اللغة والنحو والصرف والاشتقاق والمعاني والبيان والبديع وأُصول الدين وأُصول الفقه وأسباب النزول والقصص والناسخ والمنسوخ والأحاديث المـبينة، وعـلم الموهبة وهو علم يرزقه الله تعالى لمن عمل بما علم.

٢) ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ۝ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ۝ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ۝ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ ١٩٢ ـ ١٩٥ الشعراء: ٢٦.

فالتفسير في مقام هذه الاستضاءة وهذا الاهتداء كان مأخوذاً من السفر بالاشتقاق الكبير، أو إنّ من فسّر الشيء فقد كشف القناع ورفع الغطاء ليُظهر المغطّى ويكشف المقنى عليه، وهو لا يكون إلّا حسب المتفاهم من تلك الآيات والمستظهر من تلك الجُمل والكلمات، لا عن المعنى الذاتي بتمامه كما هو، كما أنّ التأويل الذي هو بيان ما يؤول إليه الكلام واستنتاج المآل من المقال أيضاً كذلك.

وهذا التفسير والتأويل للاستضاءة بنور الكتاب والاستمداد من نفس الآيات هو غير تحميل ما عند المخاطب من التصوّرات على مراد المتكلّم من الكلمات كما في كثير من التفاسير.

وعندنا أنّ المنزل من عند الله تعالىٰ وعن علمه المسموع من لسان رسوله ﷺ، المكتوب بأيدي الكتّاب، يهدف في كلّ قطعة من كلامه أو سورة من بيانه إلىٰ غرضٍ خاصٍّ وأمرٍ معيّن تتوجّه إليه تلك الآيات، وإن اشتملت علىٰ مسائل جانبيّة تناسب ذلك الغرض، خلافاً لما تصوّره بعض المفسّرين من أنّ كتاب الله تعالى المتّخذ من كتابه التكويني يناسب نفوس الجبال وبطون الأودية والآجام والمراتع غير المنتظمة في منظر بدْوي ذي نظم عريق.

ثمّ إنّ جمع هذه الآيات وتنظيم تلك الكلمات ـ علىٰ ما هي عليه

الآن في أيدي المسلمين من عدد السور ومتون الآيات بما بين الدفّتين ـ قد تحقّق في زمن رسول الله ﷺ تحت أمره وإشرافه، وكان يعرف المسلمون ذلك أشدّ المعرفة.

وأمّا الجمع وتحديد الخطّ في زمن عثمان فكان تفادياً للتشتّت والخلاف، وحفظاً عن التفرّق والاختلاف؛ فجُعل في أربع نسخ بأربعة خطوط لأربعة أكبر بلاد المسلمين[١].

•••

**فاتحة الكتاب:**

ثمّ إنّ فاتحة ذلك الكتاب[٢] الذي لا ريب فيه هي السبع المثاني، فإنّ البسملة جزءٌ من السورة، وتُقرأ في ركعتي الصلاة فرضاً ونفلاً؛ فإنّه لا صلاة إلّا بفاتحة الكتاب، ومن صلّى صلاة لم تُقرأ فيها فاتحة الكتاب فهي خداج[٣] لا لنزولها مرّتين في مكّة والمدينة كما قيل، فإنّ

---

١) وهي: مكّة، المدينة، الكوفة، الشام.

٢) فاتحة الكتاب أوّل أسماء هذه السورة وأشهرها، والتسمية بها في زمن رسول الله ﷺ تدلّ على وجود كتاب منتظم في ذلك الوقت كانت هذه فاتحته.

٣) تفسير كشف الأسرار: الخداج هو كلّ نقص في الشيء.

ذلك(١) غير مقبول بعد أن كانت الصلاة أوّلَ مشروع يُقيمه الرسول ولم يكن معه مسلم إلّا خديجة وعليّ عليه السلام.

وكذلك سُمّيت أُمّ الكتاب؛ لأنّها تتقدّم عليه و تجمعه، وكلُّ مقدَّمٍ جامعٍ هو أُمّ(٢).

•••

١) بل لا يمكن تعدّد النزول من مرحلة إلى مرحلة واحدة، وسيأتي الكلام في نزول القرآن في ليلة القدر وفي شهر رمضان مع نزوله متدرّجاً طيلة عصر الرسالة.

٢) في العيون عن أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ البسملة من الفاتحة وإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقرأها ويعدّها آية منها، ويقول: فاتحة الكتاب هي السبع المثاني، وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إذا قرأتم الحمد فاقرأوا بسم الله الرحمن الرحيم، فإنّها أُمّ القرآن والسبع المثاني، وبسم الله الرحمن الرحيم إحدى آياتها.

## سورة فاتحة الكتاب

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

**مفردات البسملة:**

الاسم: السِّمة والعلامة التي تشير إلى المسمّىٰ وتعلنه أو تُعلمه ـ لفظاً كان كما في كثير من الأسماء أو غيره كما في كثير من العلامات والسمات الموضوعة لإعلانات خاصّة كما هو الحال في الطرق والشوارع ـ وبذلك فكلُّ موجود هو اسمٌ له تعالى وآية تشير إليه:

وفي كلّ شيء له آيةٌ　　تدلّ على أنّه واقع[1]

ولعلّ من ذلك تعليم الله تعالى آدم الأسماء كلّها، فإنّها لم تكن

---

١) قال الشاعر بالفارسية:

برگ درختان سبز در نظر هوشيار

هر ورقش دفترى است معرفت كردگار

من مقولة الألفاظ.

لفظ الجلالة «الله» سواء كان من ألَهَ بمعنىٰ عَبَدَ أو أَلِهَ بمعنى تحيّر أو من لاه بمعنى احتجب، فهو اسمٌ لذات الواجب المطلق والمبدأ لكلّ خير، وكمال المعبود، والمطلق الذي تحير في معرفته العقول، المحتجب في ظهوره عن الأبصار، لا تُدركه الأبصار، أقرب اسم إلى الاسم الأعظم من ناظر العين إلىٰ بياضها[1]، وأعظم اسم من أسماء الله عزّ وجلّ[2].

والرحمٰن وصفٌ خاصٌ له ـ تعالىٰ ـ بإعطائه وإفاضته الكثيرة للوجود بمقتضى المبالغة، يعمُّ المؤمن وغيره في الدُّنيا، ولا يُطلَق ولم يُطلَقْ علىٰ غيره تعالىٰ في القرآن وغيره، بخلاف الرحيم.

والرحيمُ دائم الإعطاء وثابت الرحمة، وهو صفة مشبَّهة تشمل المؤمنين في الآخرة فقط، وقد أُطلق على رسول الله ﷺ في قوله

---

١) عن أبي عبدالله عليه السلام، عن أبيه قال: «بسم الله الرحمن الرحيم أقرب إلى اسم الله الأعظم من ناظر العين إلىٰ بياضها» التهذيب ج٢ ص٢٨٩ ح١٥.

٢) عن أمير المؤمنين عليه السلام: الله أعظم اسم من أسماء الله عزّ وجلّ، لا ينبغي أن يُسمّى به غيرُه.

تعالىٰ: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[١]، وعلى الذين معه في قوله تعالى: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[٢]، وقد أشار الإمام الصادق عليه السلام إلى ذلك بقوله: الرحمن اسم خاصٌّ لصفة عامّة، والرحيم اسم عام لصفة خاصّة[٣].

**مسألة لابدّ من العناية بها:**

ولابدّ من العناية بمسألة دقيقة قبل التطرّق إلى معنى الآية وهي: إذا قلنا: الأرض موجودة والسماء موجودة، وعلى الأرض الإنسان موجود والحيوان موجود، وفي السماء الملك موجود وهكذا؛ فإنَّ وحدة المحمول وتعدّد الموضوع وعدم صحّة حمل كلٍّ من السماء والأرض وغيرِهما على الآخر، تكشف عن تواجد كلٍّ منها لحقيقة يُطلق عليها الوجود، وإنّها غير الأرض والسماء والإنسان والحيوان،

---

١) وقد استعمل في القرآن سبعاً وخمسين مرّة.

٢) ١٢٨ التوبة: ٩.

٣) ٢٩ الفتح: ٤٨.

وكلٌّ منها، بل كلُّ شيءٍ إذا فُرض بلا وجود فليس بشيء ولا بموجود، ولا تبق أرض ولا سماء ولا شيء آخر لولا الوجود.

فالأرض والسماء وكلُّ شيء غيرُ الوجود، موجودٌ بالوجود، والوجودُ موجودٌ بنفس ذاته لا يحتاج في كونه موجوداً إلىٰ غيره، فهو الواجب بذاته، وغيره ممكن في ذاته.

ومعنىٰ وحدته حقيقيٌّ[١]، مع كونه ذا مراتب، وإنّ مراتب وجود الموجودات من فيضه المطلق من غير أن يكون الذات معرَّضاً لشيء من العوارض والحالات حتّى القبض والبسط، مع أنّه تعالى ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾[٢] وسائر المباحث الراجعة إليه محوّلة إلى محلّها.

ولكن العناية بهذا الأساس وأنّ وجود كلّ شيء أصلٌ في شيئيّته وأنّ ذلك الوجود فيضٌ وظلٌّ من الفيّاض المطلق الخالق المتعال يكشف السرّ عن كثير ممّا سنبحث عنه من اختصاص الألوهيّة

---

١) لا عدديٌّ رياضيٌّ وهندسيٌّ، ولا غيرها.

٢) ٢٦ الرعد: ١٣.

والمعبوديّة به تعالىٰ واختصاص مطلق الحمد به وسعة الرحمة وغير ذلك.

• • •

**معنى البسملة:**

والمعنى: أبتدئُ باسم الله الموصوف بالرحمة الواسعة في عبادته والتقرّب إليه، أو أستعين باسمه في ذلك الأمر، بل في كلّ أمرٍ ذي بال، أو أَسِمُ نفسي بوسمة من سماته تعالى وهي العبادة، أي أعبده بنفس ذلك الذكر، أو العمل بتأديب الله تعالىٰ في أوّل ما نزل: اقرأ باسم ربّك.

وكلُّ أمرٍ ذي بالٍ لم يُذكرْ فيه «بسم الله الرحمٰن الرحيم» فهو أبتر(١).

---

١) عن أمير المؤمنين عليه السلام «إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم حدّثني عن الله عزّوجلّ أنّه قال: كلُّ أمرٍ ذي بال لم يُذكر فيه (بسم الله الرحمن الرحيم) فهو أبتر». (تفسير الصافي ذيل الآية)، وذكر ذلك في الأمر غير الابتداء به.

ومعنى الابتداء أو الاستعانة أو التسمّي باسمه تعالى الاستمدادُ منه ومن رحمته الواسعة لتوجيه الأسباب والتوفيق للعمل الصالح في مجموع النظام ممّا هو خارج عن قدرة الإنسان، بل فيما تحت القدرة دون صرف التبرّك والتعظيم من غير العناية بتأثير الاسم في تحقّق ما ابتدأ به.

وأمّا تعلّق باء البسملة بما بعده من الحمد حتّىٰ يكون اختصاص الحمد لله تعالىٰ بسبب اسمه، فإنّ كلَّ شيء اسمٌ له تعالىٰ حسب وجوده، وبسبب الوجود يصبح ويستحقّ الحمد؛ فرجع كلُّ حمد إلىٰ حيثيّة الوجود كما سيأتي.

ومسألة وحدة الحامد والمحمود علىٰ ما فصّله أُستاذنا الأعظم قائد الثورة مؤسّس الجمهورية الإسلاميّة في إيران، الجامع للمعقول والمنقول، الفقيه العظيم العارف بالمعارف الحقّة آية الله العظمى الإمام الخميني (أدام الله ظلّه علىٰ رؤوس المسلمين)، فمع صحّته في محلّه لعلّه من أقسام حمل العلوم على القرآن، فإنّ الله تعالىٰ قال: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ولم يقل: الحمد لله ربّ العالمين

باسم الله.

وتقدير المتعلّق المتقدّم الواضح أهون من تأخير المتعلّق الظاهر، والله أعلم.

• • •

﴿الحمد لله رَبِّ العالمين﴾ (٢)[1]

**معنى الحمد والمدح:**

الحمد هو الثناء على الأفعال الاختياريّة، والمدح يعمّ غيره، والشكر لايُقال إلّا في مقابلة النعمة، فكلُّ شكرٍ حمدٌ، وليس كلُّ حمدٍ شكراً، كما أنّ كلَّ مدحٍ حمدٌ ولا عكس[2]، فيصحّ شكر المضيف لضيافته والأُستاذ لتعليمه والخالق المتعال لخلقه، كما يصحُّ حمدُهم لها وحمدُ غيرهم في أفعالهم الاختيارية الحسنة، ومدحهم فيها وفي غيرها مثل مدح الإنسان في صباحة وجهه واعتدال قامته، ومدح غيره كالشمس والقمر إلىٰ مدح الجواهر.

---

١) عن الصادق عليه السلام قال: «ما أنعم الله علىٰ عبده بنعمةٍ صغرت أو كبرت فقال: الحمد لله إلّا أدّىٰ شكرها» الكافي ج٢ ص٩٦ ح١٤.

٢) فإنّ مدح الإنسان صباحة وجهه لا يكون حمداً كمدحه على بذل ماله وسخائه فإنّه حمدٌ أيضاً، كما أنّ شكر المنعم على ما أنعم حمد وشكر، وعلى سائر أفعاله ليس بشكر.

وحيث إنّ الخالق المتعال مختارٌ، والإرادة والاختيار ذاته، وتجري في فيضه ولطفه، فكلُّ مدْحٍ بالنسبة إليه تعالىٰ هو حمدٌ أيضاً.

والحمد لله فإنَّ كلَّ حسن وجمال في كلّ شيء لا يكون إلّا بوجوده وكيفيّة تحقّقه، وليس ذلك إلّا بإفاضته وعنايته تعالى الصادرة باختياره.

رَبّ العالمين:

والربّ ـ كما قال الراغب ـ في الأصل: التربية، وهي إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلىٰ حدّ التمام، وجاء في الميزان: فالربّ هو المالك الذي يدبّر أمر مملوكه ففيه معنى المِلك، ومعنى المِلك (الذي عندنا في المحيط الاجتماعي) أي الملكيّة الحقيقيّة والاعتباريّة.

وعندنا يشمل معناه المالكيّة بقسميها، والملكية كذلك مع عناية آكد وأزيد، فإنّ الربّ مع المربوب حقيقةً أو اعتباراً في إيصاله إلى المطلوب الغائي يراقبه حتّىٰ يصل إليه ما يفيده في رشده، ويندفع عنه ما يضرّه آناً فآناً، وشيئاً فشيئاً حتّىٰ الوصول إلىٰ مأمنه ومنتهاه، وبمراتبه من ربّ الدار والجنّة، إلى ربّ الإبل والأطفال، ثمّ ربّ الجنّ والإنس وربّ المشارق والمغارب وربّ العالمين.

والعالَم: ما يُعلم به، كالخاتَم ما يُختم به، فيصحّ إطلاقه علىٰ كلّ شيء بشخصه، وكلّ نوع يتألّف من أصناف، وكلّ صنف يتألّف من أفراد أو أجزاء كعالم البحار والنبات والحيوان والإنسان، بل عالم الأعراب والأعاجم والأتراك و...، ثمّ وُضع للفلك وما يحويه من الأجرام والأغراض، بل لما سوى الله تعالىٰ، كأنّه الآية الدّالّة علىٰ صانعيّة الله تعالىٰ، فكما يدلّ عليه كلّ شيء بشخصه، يدلّ عليه تعالىٰ كلّ نوع وصنف ومجموع ما سواه(١).

وهو تعالىٰ ـ بإفاضته الوجود وإعطائه الخير الدائم لكلّ موجود ـ ربٌّ للعالمين، فإنّه لا تحقّق ولا وجود لشيء إلّا بذلك الإعطاء وتلك الإفاضة الدائمة، بل لا شيئيّة ولا تحقّق إلّا لنفس ذلك الفيض، وربطُ المستفيض بالفيّاض المطلق على الدوام قوام له، وليست الربوبيّة إلّا تلك العناية الدائمة المتّصلة في كلّ آن وحال حتّى يصل كلٌّ من الجماد والنبات والحيوان والإنسان والملائكة، بل كلّ ممكن في الأرض والسماء وما بينهما غايته ومنتهاه، فهو تعالىٰ ربُّكم وربُّ آبائكم وربُّ المشارق والمغارب وربُّ السمٰوات والأرض وربُّ العالمين، وتفصيل

---

١) ولله في كلّ تسكينةٍ وتحريكةٍ في الورىٰ شاهدُ

الكلام في محلّه حسب مناسبة الآيات إن شاء الله تعالىٰ.

وقد اتّضح بماذكرنا معنى قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فإنّ كلَّ ثناء علىٰ كلِّ جميل بأيِّ لسان تكوينيٍّ أو صوتي[١]، لفظيٍّ أو غيره راجع إليه تعالىٰ ومختصٌّ به، فإنّه لا جميلَ ولا جمالَ إلّا بالوجود، ولا وجودَ لموجودٍ ومحمود إلّا بفيضه المطلق ورحمته الواسعة، فالحمد كلُّه لله ربِّ العالمين.

والمستفاد من سلامة الجمع في كلمة «عالَمين» أنّ العقلاء في تلك العوالم أكثر من غيرهم، فإنّ التغليب بلا وجود الغالب بعيدٌ عن فصاحة القرآن، وتوجيه تغليب الإنسان إذا كان مع غيره مطلقاً غيرُ موجَّه، كما أنّ حَمْلَهُ علىٰ ما في كلام الإمام عليه السلام من إرادة أفراد الإنسان فقط، وأنّ كلّاً منهم عالَم صغير انطوىٰ فيه عالم كبير أيضاً كذلك فإنّه تأويل لا تفسير، وإرادته في قوله تعالىٰ: ﴿فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ لا توجب ذلك في ربِّ العالمين، فإنّ المفضَّل عليه من قبل الله

---

١) عن بعضٍ: إنّ الإعجاز لم يكن في تسبيح الحصاة، بل في إسماع صوتها للإنسان فإنّه يسبّح لله ما في السموات والأرض، وذلك بالأصوات عنده ولكن لا تفقهون تسبيحهم كما أشار إليه سبحانه وتعالىٰ في الآية ٤٤ الإسراء: ١٧.

تعالىٰ غير المربوب، ولا يمكن خروج شيء عن ربوبيّته تعالىٰ كما في: ﴿وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾[١] ﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَـذِيراً﴾[٢] فـإنّ الاصطفاء والإنذار قرينتان على إرادة الإنسان في عوالمه المختلفة؛ فهو تعالىٰ ربُّ العالمين عالَم الإنسان والجنّ والملك وغيرها، وعالم العاقل، وعقلاء العالمين أكثر، ولا ينحصر بالإنسان كما تدعم ذلك روايات الخلقة، وتفصيل الكلام في محلّه.

• • •

﴿الرحمن الرحيم﴾ (٣)

قد ذكرنا معنى الوصفين في الآية الأُولى فلا نعيد، فـإنّ الأوّل توصيف للمعبود الحقّ المطلق الله الخالق المتعال، وتعليل للعبادة، وهنا توصيفٌ للمنعم المحمود، وتعليلٌ لاختصاص الحمد به تعالى وأنّهما من الأوصاف التي يستحقّ بهما الحمد.

---

١) ٤٢ آل عمران: ٣.

٢) ١ الفرقان: ٢٥.

﴿مالكِ يَومِ الدّين﴾ (٤)

**مالك أو مَلِك؟**

المالك مَنْ له التصرّف في مملوكه كيف يشاء، ويتّسع نطاق الملكية حسب دائرة التصرّف إلىٰ تصرّف المطلق ومطلق التصرّف[1]؛ فيصحّ إطلاق مالك الدار والثوب والكتاب، فمالك الرقاب ومالك الجنّ والإنس ومالك الأرض والسماء حتّى مالك المُلك[2] ومالك الملوك.

والمَلِك مَنْ له الأمر والنهي فيما يصحّ ويعقل، ويتّسع نطاق الملكية حسب نطاق صحّة الأمر والنهي التشريعيّين اللّذين لهما الإطاعة والعصيان من ذوي العقول والاختيار، فيصحّ ملك الناس، ولا يصحّ ملك الدار والثوب والكتاب، فكيف الأرض والسماء؟

وأمّا الأوامر والنواهي التكوينيّة التي لا تخلّفَ فيها، الراجعة

---

١) تصرّف المطلق يشمل تمام التصرّفات مع حفظ التصرّف فيه وبقائه، ومطلق التصرّف يشمل التصرّف في أصله حتّى إعدامه ونفيه.

٢) ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ﴾ . ٢٦ آل عمران: ٣.

حقيقتهما إلى الإيجاد والإعدام[1] فبأنفسهما تصرّف مالكي في المملوك لا إعمال سلطنة في سلطته؛ وإطلاق المَلِك علىٰ تلك الموارد ـ إنْ صحّ ـ فمع التأويل، فالمالك أوسع نطاقاً من المَلِك، فإنّ كلّ تصرّفٍ مالكيّ تصرّف ملكي ولا عكس.

## معنى اليوم:

واليومُ قطعةٌ من الزمان ومرحلة من الكون، قال عليّ عليه السلام: «الدهر يومان: يومٌ لك ويومٌ عليك»[2]. ويُطلق على النهار القطعة الواقعة قبال الليل، قال تعالىٰ: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾،[3] والمراد هنا المرحلة المتحقّقة في نهاية المتدرّجات وفعليّة الاستكمالات وسكون الحركات آخر الدُّنيا في دار الآخرة ويوم القيامة، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ۝ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ

---

١) ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ٨٢ يس: ٣٦. ﴿اِئْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ ١١ فصّلت: ٤١.

٢) نهج البلاغة رسالته عليه السلام رقم ٧٢.

٣) ٩ الجمعة: ٦٢.

الدِّينِ۞ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴾[١].

وظاهر إطلاق المالك أو الملك المضاف إلىٰ يوم الدين أنّ ذلك اليوم موجود الآن، فإنّه لا يصحّ الإطلاق علىٰ ما سيوجد وسيُملك، ولعلّه أشار إلىٰ ذلك ما في تفسير الإمام عليه السلام في معنىٰ مالك يوم الدّين القادر على إقامته والقاضي فيه بالحقّ.

ولكن الحقّ أنّه موجودٌ الآن بالنسبة إليه تعالىٰ، قال تعالىٰ: ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾[٢] والتدرّج والزمان راجعان إلى الدُّنيا وما فيها ومن فيها ـ وسيأتي في محلّه إن شاء الله ـ مع أنّ الفعليّة والتحقّق الآن راجعان إلى المِلْكية أو المُلكية، ولا منع لشمول إطلاقه ما لا يوجد إلّا تحت نطاقه، وإن لم يكن موجوداً الآن، فلا ينافي فعْليّة الملك[٣] واستعداد المتعلّق يوم الدين.

**القرآن مالك أو ملك:**

ثمّ إنّ القرآن لا يكون إلّا واحداً منهما، وهو أوّل ما تكلّم به

---

١) ١٧ إلى ١٩ الانفطار: ٨٢.

٢) ٢٨ لقمان: ٣١.

٣) المُلك يَعُمّ المالِك والمَلِك.

رسول الله ﷺ، وتلفظ به، واستمع من شفتيه الشريفتين، وكُتِبَ على الصحيفة بيد كُتّاب الوحي، ولا يمكن التلفّظ أوّلاً إلّا بواحد منهما حسب التركيب من الحروف والحركات والقراءات، سواء كان ممّا يختلف حسب المعنىٰ مثل يَطهُرن ويطّهرن أو لا، فلا يصحّ في الصلاة إلّا أحدهما بعنوان القرآن، وقراءتهما في صلاتين يوجب العلم إجمالاً ببطلان أحدهما، ولا صلاة إلّا بفاتحة الكتاب، وأحدهما منها.

فما ورد عن العيّاشي أنّ الصادق عليه السلام قرأ: مَلِك يوم الدين ما لا يحصىٰ[1]، صريح في أنه عليه السلام كان يقرأ «مالك» على الأصل، و«مَلِك» علىٰ خلافه كثيراً فلابدّ من العلاج بقبول أحد الطرفين أو القراءة في غير الصلاة أو غير ذلك، فتأمّل[2].

وأمّا احتمال أن يكون القرآن كلاهما، ونزولهما مرّتين أو في نزول واحد، فإن صحّ فلا يكون إلّا في معنى الواحد بكلمات متعدّدة دون

---

١) تفسير الصافي، ذيل الآية.

٢) وجه التأمّل أنّه قد يُقال بكفاية كلّ منهما في الصلاة، وحتّى الجمع بينهما في كلّ ركعة أحدهما لا للجمع احتياطاً، فإنّ ظاهر قوله عليه السلام: اقرأوا كما يقرأ الناس جواز قراءة كلّ منهما، فكما تكفي الطهارة الظاهرية يكفي القرآن الظاهري، ولو لم يكن أحدهما واقعاً قرآناً.

المعاني المختلفة بألفاظ متفاوتة مثل المقام.

وأمّا تأويل القرآن وبطنه فهو أمرٌ آخر متّسع إلىٰ ما لا نهاية له، لا يرتبط بلفظ القرآن وصورته المكتوبة.

وعندنا: القرآن مالك يوم الدين، لتواتر النقل وقراءة المعصوم عليه السلام على الأصل، وكذا الكتابة وإنْ كان المكتوب يشتبه مع المَلِكِ كثيراً، ولسعة المعنىٰ وشمول المالك قدرته لسُلطةِ المِلِك[١].

والوصف في الآية بأنّه تعالىٰ مالك يوم الدين كسابقتها من أنّه رحمٰن، ورحيم، وربٌّ للعالمين يشير إلىٰ عليّة اختصاص الحمد به تعالى؛ فإنّ كلّاً من تلك الصفات نشأتْ للاختصاص، فالحمد له تعالىٰ بما هو مالك يوم الدّين أيضاً.

ومهما كان، فكلٌّ منهما[٢] له تعالىٰ حقيقي لا اعتباري؛ لأنّ

---

١) فإنّ المالك الحقيقي عينُ المملوك ووجوده وتمام شؤونه بيد قدرته، يتصرّف فيه ويُدبّر أمره، بخلاف المالك الاعتباري فإنّه لا يشمل تدبير أُمور عين المملوك ووجوده ليشمل مفهوم الملك.

٢) فإنّه تعالىٰ مالك يوم الدين، ومالك المُلك ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ﴾ (٢٦ آل عمران: ٣)، و ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ (١٦ غافر: ٤٠).

مالكيّة الإنسان مثلاً لثوبه أو داره ولمتجره ومكتبه، أو رئاسته، وملكيّته لإدارة أُمور مؤسسّة أو مكتبةٍ في مدينةٍ أو بلدٍ، هو أمرٌ اعتباريٌّ لا يوجد بإزائه شيء ولا عين في الخارج، لا حقيقيٌّ كما بالنسبة لله سبحانه وتعالىٰ، فإنّ المملوك له تعالىٰ وما يكون تحت سلطته تعالى موجود بفيض وجوده، متحقّق بعنايته، بحيث لو لم يكن فيضه وعنايته لما كان شيء حتّى يكون مملوكاً أو تحت أمره ونهيه وسلطته، وتلك العناية موجودة ومتحقّقة في العين، مثل قولنا: أيدينا وأبصارنا، فإنّ وجودها قائم بوجودنا غير مستقلٍّ عنّا، وذلك غير قولنا: كتابنا ودارنا، فإنّ وجودها غير مرتبط بنا، والرابط اعتباريّ مجعول.

﴿إيّاك نعبد وإيّاك نستعين﴾ (٥)

قدّم إيّاك لتعظيمه تعالىٰ والاهتمام بالعبادة، وللدلالة على الحصر، والجمع في (نعبد) و (نستعين) راجع إلى القارئ ومن معه من الملائكة والحفَظة أو حاضري صلاة الجماعة إذا كان فيها، أو لَهُ ولسائر الموحِّدين من السَّلَف والخَلَف بعد الحاضرين، وإدراج عبادته في عبادتهم، وخلْط حاجته بحاجتهم لعلّها تُقبل ببركتها،

وتُجاب بإجابتها، ولهذا شرّعت الصلاة جماعة ثمّ أُجيز فيها فرادىٰ.

وعن الفيض الكاشاني رحمه الله أنّ انتقال العبد من الغيبة إلى الخطاب كان لتمجيده لله سبحانه، يتقرّب إليه متدّرجاً إلى أن يبلغ في القرب مقاماً كأنَّ العلم صار له عياناً، والخبر شهوداً، والغيبة حضوراً[1].

**معنى العبادة:**

العبادة هي جعل الإنسان نفسه عبداً مملوكاً لله تعالى لا يقدر علىٰ شيء حتّى يكون تصرّفه في نفسه وكلّ شؤونه، وحتّىٰ عبادته إيّاه وكيفيّة تعبّده وفق مرضاته وبأمره وهدايته.

وحيث إنّ مالكيّته تعالى للعباد، بل لمن في السماوات والأرض، ومملوكيّتهم له تعالىٰ حقيقيّة مطلقة، فهي لا تنحصر بشأن دون شأن، وليست بأمرٍ اعتباريّ راجع إلى الشأن المعتبر فيه مثل ملكية الإنسان لعبده، ومملوكيّته له[2]، فكلّما كان تسليم العبد لله تعالى أكثر كانت

---

١) تفسير الصافي، ذيل الآية.

٢) فإنّ الموالي لا يملكون في رقباتهم العبيد والإماء إلّا الأفعال الاختيارية لهم علىٰ ←

العبوديّة في الأفعال الاختيارية أقرب إلى الحقّ والتكوين، وكانت العبادة أخلص، حتّىٰ ينتهي إلى أن لا يرى العبد نفسه، وحتّىٰ عبادته عند إطاعته، فإنّ التوفيق لذلك والقدرة عليه لا يكون إلّا به ومنه، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم، فيتمّ تقديم (إيّاك) لإفادة الحصر.

وكلّما كان معه غيره في عبادته من نفس العابد ومشتهياته من الجنّة وما فيها ممّا تشتهيه الأنفس وتلذّ به الأعين، وتكون مطلوبة، أو الاحتراز عن النار وما فيها من مراتب العذاب فتكون مبغوضة، أو غير النفس ممّا أحاطه من السماء والأرض وما بينهما بأن يراها مطلوبة، ويعتقد لها النفسية في التأثير، كان إلى الشرك والكفر أقرب، ومن الحقّ والخلوص أبعد، وإن كانت العبادة مجزيةً في كثير من تلك المراتب فقهاً، ولكنّها لا تكون موصلة إلىٰ ما ينبغي، وإلىٰ ما ينتهي إليه عباده المخلصون.

وفي رواية عامّية عن الصادق عليه السلام: يعني لا نريد منك غيرك،

---

حدود خاصّة، وليس لهم التصرّف فيهم كيف شاءوا من الايذاء والقتل وأمثالها، وليس المماليك مملوكين مطلقاً وفي كلّ شأن.

لا نعبدك بالعوض والبدل كما يعبدك الجاهلون بك، المغيّبون عنك[١].

والاستعانة: طلب العون والمساعدة ممّن له القدرة، ليعمل له ما لا يقدر عليه مستقلاً، أو يساعده في العمل.

وحيث إنّ الإنسان لا يقدر على شيء مستقلاً وبنفسه، بل لا يكون شيئاً في نفسه حتّىٰ يعمل ويأتي بشيء من عبادة وغيرها دون كثير من الأسباب والعلل، ومساعدة الأوضاع والظروف، وكذلك نفس تلك الأسباب ومن في أيديهم[٢]، لا يكون بنفسه فقراً ﴿أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾[٣] فلابدّ أن يستعين بمن يتمكّن من الإعانة دون أن يحتاج هو إلى العون، ولا يتمكّن من ذلك إلّا مَنْ كانت قدرته قدرةً ذاتيّة، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله.

فيقدّمُ (إيّاك) علىٰ (نستعين)، ويعتقد العبد أنّ الاستعانة إنْ هي إلّا بالله فيقول في عبادته وكلّ أعماله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

---

١) تفسير الصافي، ذيل الآية.

٢) من جنود السماوات والأرض.

٣) ١٥ فاطر: ٣٥.

﴿إهدنا الصراط المستقيم﴾ (٦)

**معنى الهداية:**

الهداية هي الإرشاد والدلالة وإراءة الطريق إلى الخير، بالبيان والتعريف، مع اللطف، أو الإيصال إليه عملياً، ولعلّ ذلك كان ملاكاً في تقسيمها إلى الهداية التكوينيّة والهداية التشريعيّة في بعض الكلمات، فإنّ إيصال الأشياء إلى المقاصد منها في الخلقة من غير اختيار لها وإرادة كما في كثير من الموجودات، وكذا إيصال الإنسان إلى الخير إلزاماً بحيث لم يتمكّن من المخالفة، إجبارٌ له وإرسال إليه، وليس بهداية، وإنْ أُطلق عليه بعناية[1].

والظاهر أنّ المراد المقام الأوّل بقرينة الطلب، فإنّ الذي يُطلب من صاحب الهداية ويُقال: «اهدنا» ما يمكن أن يُستجاب، وعند

---

١) كما في قوله تعالى: ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ (٥٠ طه: ٢٠)، وقوله تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۝ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ۝ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ (١ و٢ و٣ الأعلى: ٨٧)، وقوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ (١٠ البلد: ٩٠) وغيرها.

الاستجابة يتمكّن من الاستفادة منه اختياراً، دون الذي هو خارج عن الإرادة، وطلب الإيصال والإجبار على الانتهاء إلى المطلوب، وإن كان مطلوباً ولكن لا يكون هداية، بل نظامٌ مخلوقٌ شاملٌ لكلّ ما سوى الله تعالىٰ.

أمّا الذي يترتّب على هداية الله تعالى بإرشاده وتشريعه ودعوته العبادَ على لسان الأنبياء والأئمّة الذين يهدون بأمره بعد إطاعة العبد، والاهتداء من زيادة الهدى الذي أشار إليه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدىً﴾[1]، وهداية القلب في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾[2] وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾[3] وقوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[4] فهو من ذلك القسم التشريعي المترتّب على إرادة العبد وعمله اختياراً، من الاهتداء والإيمان والعمل الصالح والجهاد

---

١) ١٧ محمّد: ٤٧.

٢) ١١ التغابن: ٦٤.

٣) ٩ يونس: ٤.

٤) ٦٩ العنكبوت: ٢٩.

فيه تعالىٰ، دون التكويني، فما ذكره الراغب لا يخلو من نظر[١].

## معنى الصراط :

الصراط : الطريق الذي يمرّ عليه الإنسان من مبدأ إلىٰ مقصد[٢]، والجمع صُرَط، والمستقيم منه أقصره بينهما، فإنّ المستقيم من الخط الأقصر بين النقطتين[٣]. ومن المعلوم أنّ المارّ عليه والمتطرّق أو العابر[٤] حيث إنّه إنسان، مبدأ حركته الذي يمكن أن يطلق عليه المرور والعبور وطيّ المنازل، أفعاله الاختيارية بعد التكليف المؤثّر في

---

١) فإنّه قسّم الهداية إلى أقسام أربعة وطبّق علىٰ كلّ قسم شطراً من الآيات، فراجع.

٢) قال الله تعالىٰ: ﴿لا تقعدوا بكلّ صراط توعدون وتصدّون عن سبيل الله﴾ ٨٦ الأعراف: ٧.

٣) فإنّه يمكن الوصول إلىٰ نقطة المقصد من خطوط منكسرة منظّمة أو غير منظّمة، فيصير أطول.

٤) كما تعلم من مزايا لغة العرب بيان ظرائف وخصوصيات مختلفة في معنىٰ واحد بألفاظ مختلفة. فإنّ المتطرّق العابر في ظلمة الليل هو الأخصّ من المارّ، كما أنّه أعمّ منه. أو المتطرّق بالدقّة والمراقبة أخصّ منهما كما يُستظهر من كتب اللغة.

سيره ومنتهاه، فإنّ كلّ حركة قهرية ليست بمرور، وليس كلّ ممرور عليه بطريق، وغايته بما أنّه إنسان التقرّب إلى الكمال المطلق، ومطلق الكمال الله تعالى، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

فالمستقيم من الطريق للإنسان هو ما يبتدئ من تلك الأفعال طول حياته، وينتهي إلى الله تعالىٰ ومرضاته، وأقصره هو الذي شرّعه تعالىٰ وبيّنه بلسان أنبيائه ورسله، سيّما خاتمهم النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم والأئمّة المعصومين عليهم السلام من بعده، وما حكم به العقل عندما لم يكن بيانٌ بيّنٌ[١].

ويدلّ علىٰ ذلك وصفه في كلامه تعالىٰ بأنّه صراط الذين أنعم الله عليهم من الأنبياء والصدّيقين والشهداء والصالحين المطيعين لله تعالىٰ في قوله: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَـئِكَ رَفِيقاً﴾[٢] وكوَصْفه بالدِّين القيم في قوله: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ

---

١) قال أبو الحسن موسىٰ بن جعفر عليهما السلام: «إنّ لله على الناس حجّتين: حجّة ظاهرة وحجّة باطنة. فأمّا الظاهرة فالرّسل والأنبياء والأئمّة. وأمّا الباطنة فالعقول». وسائل الشيعة ج ١١ ص ١٦٢.

٢) ٦٩ النساء: ٤.

دِيناً قِيَماً﴾(١) وبالاعتصام به في قوله: ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾(٢) وتصريحه بأنّه عبادة الله تعالى في قوله: ﴿وَأَن اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾(٣).

ويتّضح من ذلك معنى الروايات الواردة حول الصراط وحول عابره مع الاختلاف في الظاهر، الراجع إلى أمر واحد ذكرناه في الباطن.

ففي الأوّل أنّه جسر جهنّم، وأنّه مظلم وأدقّ من الشعرة وأحدّ من السيف، وأنّه الطريق إلى معرفة الله تعالى، وأنّه في الدُّنيا الإمام المفترَضُ الطاعة، وما قصُر عن الغلوّ وارتفع عن التقصير واستقام، وفي الآخرة طريق المؤمنين إلى الجنّة، وغير ذلك.

ويتّضح من معنىٰ «العابر عليه» أنّه من عرف الإمام في الدُّنيا واقتدى بهداه فقد مرّ على الصراط، ومن لم يعرفه زلّت قدمه عن الصراط في الآخرة فتردّىٰ في نار جهنّم، وأنّه يسعى الناس عليه علىٰ قدر أنوارهم، منهم من يمرّ عليه مثل البرق الخاطف أو عدْو الفرس أو

---

١) ١٦١ الأنعام: ٦.

٢) ١٠١ آل عمران: ٣.

٣) ٦١ يس: ٣٦.

مشياً أو حبْواً أو متعلّقاً، فتأخذ النار منه شيئاً وتترك شيئاً[١].

---

١) روى الصدوق عن الصادق عليه السلام قال: «الناس يمرّون على الصراط طبقات، والصراط أدقّ من الشعرة وأحدّ من السيف، فمنهم من يمرّ مثل البرق، ومنهم من يمرّ مثل عدْو الفرس، ومنهم من يمرّ حبواً، ومنهم من يمرّ مشياً، ومنهم من يمرّ متعلّقاً قد تأخذ النار منه شيئاً وتترك شيئاً». أمالي المحجّة البيضاء: ج٨ ص٣٤٧.

ـ وبإسناده عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال لعليّ عليه السلام: «يا عليّ إذا كان يوم القيامة أقعد أنا وأنت وجبرئيل على الصراط فلا يجوز على الصراط إلّا من كانت معه براءة بولايتك». معاني المحجّة البيضاء: ج٨ ص٣٤٧.

ـ وعن أبي سعيد الخدري: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يمرّ الناس على جسر جهنّم وعليه حسك وكلاليب، إلى قوله: «فمن الناس من يمرّ عليه كالبرق، ومنهم من يمرّ كالريح، ومنهم من يمرّ كالفرس المجري، ومنهم من يسعى سعياً ومنهم، من يمشي مشياً، ومنهم من يحبو حبواً، ومنهم من يزحف زحفاً». الحديث، المحجّة البيضاء: ج٨ ص٣٤٥.

ـ وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «الصراط المستقيم في الدُّنيا ما قصر عن الغلوّ، وارتفع عن التقصير واستقام، وفي الآخرة طريق المؤمنين إلى الجنّة».

ـ وعن الصادق عليه السلام: هي الطريق إلى معرفة الله، وهما صراطان: صراطٌ في الدُّنيا، وصراطٌ في الآخرة، فأمّا الصراط في الدُّنيا فهو الإمام المفترض

فإنّ الصراط أو الطريق الذي يسعىٰ عليه الإنسـان بِـنُورِهِ(١) وبمعرفة الإمام والاهتداء بهداه في الدُّنيا هو طبعاً الدِّين القيّم وعبادة الله تعالىٰ وإطاعته، ومعرفة وليّه المفترض الطاعة، وإطاعته في أوامره ونواهيه الولائية والسلطانية، ولا يكون ذلك إلّا ما هو مرتفع عـن التقصير، وقاصرٌ عن الغلوّ، ومتوسّط مستقيم، ودقيقٌ حادٌّ في حدود الله تعالىٰ وحقوق الناس، ومظلم بطبيعته يـتّضح بـنور أحكـام الله تعالىٰ وشرائعه، وبنور معرفة الله ووليّه، وهو جسرٌ علىٰ جهنّم يعبره

---

☜ الطاعة، مَنْ عرفه في الدُّنيا واقتدىٰ بهداه مرّ عـلى الصراط الذي هـو جسر جهنّم في الآخرة، ومَنْ لم يعرفه في الدُّنيا زلّت قدمه عن الصراط في الآخرة فتردّىٰ في نار جهنّم.

ـ وعنه عليه السلام: إنّ الصراط أمير المؤمنين عليه السلام، وزاد في رواية أُخرىٰ: ومعرفته، وفي أُخرى: إنّه معرفة الإمام، وفي أُخرىٰ: نحن الصراط المستقيم. تـفسير الصافي في ذيل الآية.

وغير ذلك من رواياتٍ كثيرة.

ـ وأنت بعد التدقيق فيما ذكرنا تعرف أنّ ذلك كلّه لا يعبّر إلّا عن معنىً واحـد وهو معرفة الله تعالىٰ ووليّه، وعبادة الله تعالىٰ وإطاعته وإطاعة وليّه.

١) ﴿يَـوْمَ تَـرَى الْـمُؤْمِنِينَ وَالْـمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُـورُهُمْ بَـيْنَ أَيْـدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ ١٢ الحديد: ٥٧.

الناس على اختلاف أنوارهم من الإيمان والأعمال الصالحة والمعارف، وكلٌّ يمرّ عليه حسب مركبه من ذلك بسرعة خطف البرق أو المشي ماشياً أو متعلّقاً.

وفي الآخرة جسر جهنّم موجود متحقّق نحو وجود الجنّة والنار، ومَن عرف الطريق والصراط المستقيم في الدُّنيا ومرّ عليه باستقامة وسرعة يمرّ علىٰ ذلك الجسر في الآخرة بنفس تلك السرعة، ومن لم يعرفه في الدُّنيا، ولم يجعل سيره ومسيره عليه زلّت قدماه علىٰ ذلك الجسر علىٰ قدر زلّته في الدُّنيا من الكفر... من عنادٍ موجبٍ للسقوط والخلود في النار إلى الذنب الصغير المصرّ عليه الذي لم يتُبْ منه فتأخذ النار منه شيئاً.

ومن المعلوم أنّ ماهيّة هذا الصراط في الدُّنيا أو الآخرة هي غير مَنْ يمرّ عليه ويعبر عنه، فلا يتمّ ما ذكره العارف الفيض الكاشاني رحمه الله من أنّ الطريق والمتطرّق واحد، وأنّ مراتب تكامل الإنسان ودرجاته الحاصلة من أعماله هي الطريق، وأعماله المحقّق لها هي المشي والمرور عليه.. إلى آخر ما ذكره(١).

---

١) تفسير الصافي في ذيل الآية، أقول: فالصراط والمارّ عليه شيء واحد في كلّ

فإنّ الطريق في الدُّنيا ـ كما عرفت ـ الدِّين القيِّم والشريعة السهلة، وفي الآخرة جسرٌ علىٰ جهنّم، فمن عمل بالدِّين في الدُّنيا يمرّ على الجسر في الآخرة، ومن لم يعمل زلّت قدماه.

وما ذكره‏‎ﷺ‏، وإنْ كان صحيحاً في محلّه، ولكنّه ليس بمرادٍ من الآية.

كما أنّ من المعلوم أيضاً أنّ هذا الصراط المستقيم والطريق الدقيق الحادّ هو الدِّين القيّم في الدُّنيا، وكلّما كان أقوم وأدقّ كان أكثر استقامة، وأقرب إلىٰ معرفة الله ومرضاته، وأبعد عن سخطه وغضبه وعن الضلال، والعباد كلّما كان تقرّبهم إلى الله تعالى أكثر بالإيمان والمعرفة والعمل الصالح كان ابتعادهم عن الضلال وغضب الله تعالىٰ وسخطه أكثر، فذلك الطريق غير طريق المغضوب عليهم، وغير طريق الضالّين، وهو يشاكل صراط الذين أنعم الله عليهم من الصالحين.

---

خطوة يضع قدمه على رأسه، أعني يعمل علىٰ مقتضىٰ نور معرفته التي هي بمنزلة رأسه، بل ويضع رأسه علىٰ قدمه أي يبني معرفته علىٰ نتيجة عمله الذي كان بناؤه على المعرفة السابقة حتّىٰ يقطع المنازل إلى الله وإلى المصير. انتهى.

**معنى الآية :**

إذا عرفت معنى الهداية والصراط واستقامته، فظاهر معنى الآية ـ والله العالم ـ طلب الإرشاد والهداية في كلّ زمان ومكان وحال، إلىٰ ما هو مقتضى الشرع ومرضاة الله تعالىٰ وعبادته، ولا غرو في ذلك الطلب حتّىٰ من المعصومين عليهم السلام الهُداة المهديّين العارفين بأحكام الله تعالىٰ وحدوده؛ فكيف بعباد الله الصالحين؟ وكيف بنا؟

كما لا يخفىٰ من أنّ ارتباط الداعي بالمدعو بنفسه، أساس كلّ دعاء قبل التوجّه إلىٰ ما يطلب الداعي أو ما يقول في تضرّعه ومناجاته، مثل ما ذكره موسىٰ (علىٰ نبيّنا وآله وعليه السلام) جواباً لسؤال الله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾[1] وذلك الأساس بالنسبة إلى المعصومين عليهم السلام يُصحّح معنى الدُّعاء.

---

[1] طه: ١٧ ـ ٢٠.

﴿صراط الذين أنعمت عليهم غيرالمغضوب عليهم ولا الضالّين﴾ (٧)

**الذين أنعم الله عليهم:**

من المعلوم أنّ نِعَم الله تعالى لا تُعدُّ ولا تُحصىٰ[١]، ومن تنعّم بأيٍّ منها فهو من الذين أنعم الله عليهم، أيّاً كانت النعمة وأيّاً كان المتنعَّم بها، ولكنّ الإطلاق ينصرف إلى أعلى المراتب وأجلى المصاديق الذي يسبق إلى الذهن أوّلاً، أو تقدّمه علىٰ سائر المصاديق علىٰ الأقلّ، وهو بعد الوجود والحياة المحقّق لمعنى الموصول (الّذين) الإيمان بالله تعالىٰ والتوفيق للعمل الصالح المفضي إلىٰ الحياة الطيّبة، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾[٢] وهي من أجلىٰ مصاديق النعمة وأُولىٰ مراتبها، وإنْ كان لها أيضاً مراتب أُخرىٰ.

فما ورد في المقام أنّهم الذين أنعم الله عليهم بالتوفيق للدّين

١) ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ ٣٤ إبراهيم: ١٤.

٢) ٩٧ النحل: ١٦.

والطاعة لا بالمال والصحّة، أو أنّهم المذكورون في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ يُطِعْ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقاً﴾[١] أو أنّهم شيعة عليّ عليه السلام[٢] ذكرٌ للمصداق من غير إرادة الحصر.

نعم، المنعَّمون بِنِعَمِ الدُّنيا بلا إيمان ولا عمل صالح، اللّذين هما أساس الفلاح[٣] منصرف عنهم العنوان؛ فإنّ ذلك غير مطلوب لعباد الله، بل مبغوض عندهم، فكيف يكون مقصوداً في دعائهم؟ فإنّ طريقهم ليس بصراط[٤]، فكيف بالمستقيم منه؟

---

١) ٦٩ النساء: ٤.

٢) في المعاني عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «الذين أنعمتَ عليهم، شيعة عليّ عليه السلام، يعني أنعمتَ عليهم بولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام، لم تغضبْ عليهم، ولم يضلّوا». تفسير الصافي، ذيل الآية.

٣) قد أثبتنا ذلك في موسوعتنا (أُسس الايمان) بالتفصيل، فراجع.

٤) فإنّ طريقهم لا ينتهي إلّا إلى النار، فليس بصراط المنعّمين المنتهي إلى الله تعالىٰ؛ فكيف بالمستقيم منه أقصرها من المبدأ إلى المنتهىٰ، كما هو ظاهر؟

المغضوب عليهم:

الغضب في الإنسان قوّة يدفع بها كلّ منافر مضرّ، وهو قبال الشهوة التي يجلب بها كلّ ملائم نافع؛ فيلازم البغض والعداوة والطرد بالنسبة إلى المضرّ، ولا يلازم الشدّة والصلابة، ويستعمل في حركة النفس وبطشها لإرادة الانتقام من الغير، أو في غليان دم القلب لذلك.

ومهما كان فلا يساعد شيء من ذلك بالنسبة إلى الله تعالى إلّا مكروهية شيء ومبغوضيّته لديه تعالىٰ. فالكفر والعصيان ـ مثلاً ـ مكروهان مبغوضان لديه تعالىٰ، علماً بأنّه رحيم في ذاته.

وكلُّ من اقترف مكروهاً فهو مغضوبٌ عليه في الجملة، وكلّما كانت الكراهية شديدة كان الغضب كذلك، وحيث إنّ الكفر والزندقة من أجلى المصاديق، فالكفّار والزنادقة هم في مقدّمة المغضوب عليهم، قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[١]، واستدلّ على ذلك بعده بقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ

١) النحل: ١٠٦.

اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[١]، وقال أيضاً فيمن حاجّ في الله بعد استجابة الحُجّة أنْ عليهم غضباً: ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾[٢] ويؤيّد ذلك قوله عليه السلام: كُلُّ من كفر بالله فهو مغضوب عليه وضالٌّ عن سبيل الله[٣].

وقد ذهب بعضٌ إلى أنّ المراد من المغضوب عليهم اليهود فقط، واستشهدوا علىٰ قولهم بقوله تعالىٰ: ﴿وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ﴾[٤]، إلّا أنّ هذا الاستدلال غير تامّ؛ لأنّه ذكرٌ للمصداق ليس إلّا، فقد استُدِلَّ في آية أُخرى بأنَّ ملاك ذلك أنّ فيهم الكفر أيضاً، قال تعالىٰ: ﴿وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾[٥] أي أنّ عصيانهم واعتداءهم دَفَعاهم إلىٰ قتْلِ الأنبياء بغير حقّ، والكفر بآيات الله،

---

١) ١٠٧ النحل: ١٦.

٢) ١٦ الشورى: ٤٢.

٣) تفسير الصافي، ذيل الآية.

٤) ١١٢ آل عمران: ٣.

٥) ١٦ البقرة: ٢.

حيث إنّ القتل والكفر أوْرثاهم الغضب. كما استُدلّ في آية أُخرىٰ علىٰ عدم الغضب بالنسبة إلىٰ غير الكافرين من اليهود، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾(١) ولم يتّخذْ اليهودُ كُلُّهم العجلَ؛ إلّا أن يكون المراد من قوم موسىٰ في المقام جميعهم(٢)؛ فيُدلُّ على المطلوب أيضاً من ناحية أنّ الشرك أوْرَث الغضب، لا بما أنّهم قوم موسىٰ (علىٰ نبيّنا وآله وعليه السلام).

مضافاً إلىٰ ذلك الإطلاق علىٰ غير اليهود بما ذكرنا من الملاك كما في قوم عاد بعد مجادلاتهم في الرسالة وكفرهم بالرسول: ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ﴾(٣) بل على المسلمين حتّىٰ مع حفظ الايمان، قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا

---

١) ١٥٢ الأعراف: ٧.

٢) قال تعالى في الآية السابقة: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ﴾ آية ١٤٨ الأعراف: ٧. وعليه فيكون معنى الموصول القوم، والقوم كلّهم فيختلّ الاستدلال.

٣) ٧١ الأعراف: ٧.

وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً﴾ (١) فالمسلم القاتل المتعمّد مغضوبٌ عليه أيضاً(٢).

**الضّالّين:**

الضلال ـ كما عن أهل اللغة ـ هو العدول عن طريق الحقّ عمداً أو سهواً، فهو ضدّ الهداية ونقيض الرشد، كما استعمل في سلوك طريق لا يوصل إلى المطلوب، بل في غير الطريق، وقيل: الضلالُ: فقدانُ ما يوصل إلى المطلوب أو غيبته، ثمّ استعمل في السعي الذي لا ينتهي إلى النتاج المؤمّل، كأنّه مشي على غير الطريق، ويلازم ذلك غيبوبة المطلوب وضياع سعْي الطالب والتلف، وليس بمعنى اللغة كاستعماله في الغلبة لو كان(٣).

---

١) ٩٣ النساء: ٤.

٢) وعن المنافقين قال تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾ ٦ الفتح: ٤٨.

٣) على ما قيل فيما قاله إخوة يوسف في أبيهم: ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (٨ يوسف: ١٢) وقولهم: ﴿تَاللهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ

ﷺ

وعليه فكلُّ من خرج عن طريق الحقّ، وعدل عن الصراط المستقيم ـ الذي عرفت معناه ـ فهو ضالٌّ لا يَصل إلى الحقّ المطلوب، وأجلىْ مراحل الخروج، وأوضح مصاديق العدول تبديل الإيمان بالكفر، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَبَدَّلْ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾(١) والتبديل يعمّ الكفر والشرك؛ ومن خرج عن الإيمان وانصرف عن الإسلام ـ سواءً كفر بالله العليّ العظيم، أو أشرك معه غيره ـ فهو في ضلال لا يصل إلى ما هو منتهى الصراط المستقيم، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً بَعِيداً﴾(٢).

وليس بَعْد الشرك والكفر إلّا الضلال، فالكافر والمشرك يعتبران من الضالّين المبعدين عن الحقّ، وإنْ كان سعْيُهم شتّىْ وكانوا يحسبون أنّهم يُحسنون صُنْعاً؛ فإنّ ما يصنعون ـ كائناً ما كان ـ لا ينفعهم بَعْدَ الضّلال و﴿أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً﴾(٣) أو

---

☜ ﴿الْقَدِيمِ﴾ (٦٥ يوسف: ١٢) ومعنىٰ ذلك عندهم الضلال والعدول عن طريق الحقّ.

١) ١٠٨ البقرة: ٢.

٢) ١١٦ النساء: ٤.

٣) ٣٩ النور: ٢٤.

﴿كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾(١) قال تعالىٰ: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً ۞ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ...﴾(٢).

ثمّ بعد الشرك والكفر، كلّما كان الخروج عن الحقّ، والعدول عن الاستقامة أقلّ كان الضلال أيضاً كذلك من العصيان والفسوق، فجعْل النصارىٰ من الضّالّين ذكْرٌ للمصداق مثل جعْل اليهود من المغضوب عليهم.

فمعنى الآية بعدما عرفت: طلب الهداية والإرشاد من الله تعالى إلىٰ سواء السبيل الذي يوصل سالكه إلى الله تعالىٰ ومرضاته، وإلى الحقّ والخير مدى الحياة في كلّ حركةٍ وسكون، وفعْل وترك، بل كلّ تفكير وإرادة.

والطريق الذي يغاير طريق الذين غضب الله عليهم ـ بأيّة مرحلة من الكراهية والغضب من الشرك جليّاً وخفيّاً أو الكفر إلى الفسوق والعصيان، وكلُّ ما كره الله تعالىٰ ـ هو الطريق الذي يغاير أيضاً طريق الضالّين بأيّة درجة من الضلال من عدم معرفة المقصود

١) ١٨ إبراهيم: ١٤.

٢) ١٠٤ و ١٠٥ الكهف: ١٨.

والمنتهى أو غيبوبته أو عدم حركة، أو سلوك في غير سبيل الله وسبيل الحقّ والخير.. من ضلال الشرك والكفر إلى الفسوق والعصيان، وكلّ حيرة وضلال.

ومن المعلوم أنّ تغاير الصراط المستقيم تغاير مع صراط المغضوب عليهم وصراط الضالّين تغاير التقابل وتقابل التضادّ أو التناقض تأكيد للاستقامة وشدّة تباعده عن كلّ مبغوض ومكروه لله تعالىٰ وعن كلّ عدول عن الحقّ وخروج عن العدل؛ فهو مستقيم غاية الاستقامة وأقصىٰ ما يمكن تقصير الطريق بين المبدأ والمقصد.

وحيث إنّ الإنسان ـ مثل كلّ ممكن ـ لا يخلو من حركة وتكامل، ولا سكون فيه ولا في العالم، فهو في طريق وصراط قطعاً، حتّى بالنسبة إلى أفعاله الاختيارية، وطريقه في كلّ مرحلة أمّا إلى المقصد والمطلوب الذي خُلق الإنسان له، فهو علىٰ هداية، وإن كان علىٰ سبيل الله فهو مستقيم، وأمّا إلى غير ذلك المقصد فهو علىٰ ضلال، وعند ارتكابه المكاره فهو مغضوب عليه وطريقه صراط المغضوب عليهم وصراط الضالّين، وإنْ أمكن تغيير مسيره طول حياته أو في مرحلة منها إلى الصراط المستقيم مع المحروميّة من مزايا المراحل السابقة، وفقدان ما كان يمكن استيفاؤه ممّا سلف.

فالتقابل بين الصراط المستقيم وصراط المغضوب عليهم

والضّالّين هو التناقض لا التضادّ، وذلك لعدم إمكـان التـخلّي عـن الطريقين، وامتناع الجمع والرفع في الأوّل دون الثاني في الثاني، كما أنّ النسبة بين المغضوب عليه والضالّ هي العموم، هذا بشكل مطلق، على أنّ كلَّ مغضوب عليه ضالٌّ وليس العكس.

اللّهمّ اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضّالّين.

ربّنا ولا تكِلْنا إلى أنفسنا طرْفَة عينٍ أبداً.

**حمدٌ في الختام:**

والحمد لله ربّ العالمين على ما وفّقنا لذلك، وقد فرغنا منه في الساعة الحادية عشرة بعد ظهر يوم الجمعة الحادي عـشر مـن ذي الحجّة سنة سبع وأربعمائة بعد الألف من الهجرة، وكنّا نعيش العـزاء والمصاب بشهادة جمع من الحجّاج في مكّة المكرّمة وجوار بـيت الله الحرام، على يد حكّام آل سعود الخونة وبأمر أسـيادهم الأمـيركان المستكبرين. اللّهمّ خلّص الإسلام والمسلمين مـن أيـدي الجـبابرة والمستكبرين الضّالّين باسم الدين بحقّ محمّد وعترته الطاهرين.

١١ ذي الحجّة ١٤٠٧ ـ ١٦ / ٥ / ١٣٦٦ هـ. ش

# قبسات من

# سورة القدر

بسم الله الرحمن الرحيم

**المقدّمة:**

الحمدُ لله الذي نزّل الفرقان علىٰ عبده ليكون للعالمين نذيراً[١] بعدما أنزله جملةً واحدة من صقع مقام العلم الحضـوريّ المطلق ومن أُمّ الكتاب إلىٰ بيت المعمور قلب نبيّه الخاتم خزانـة حـكمته تـنزيلاً خاصّاً لا يمسّه غيره، ولم يكن له أن يعجل به[٢] حتّىٰ يقرأ عليه علىٰ مكث في التنزيل النجوميّ طيلة ثلاث وعشرين سنة[٣]. وكان ذلك

---

(١) ﴿تَبَارَكَ الَّـذِي نَـزَّلَ الـفُرْقَانَ عَـلَىٰ عَـبْدِهِ لِـيَكُونَ لِـلْعَالَمِينَ نَـذِيراً﴾ سورة الفرقان[٢٥]: ١.

(٢) ﴿لَا تُحَـرِّكْ بِـهِ لِسَـانَكَ لِـتَعْجَلَ بِـهِ * إِنَّ عَـلَيْنَا جَمْـعَهُ وَقُـرْآنَهُ﴾ سورة القيامة [٧٥]: ١٦ ـ ١٧.

(٣) ﴿وَقُـرْآناً فَـرَقْنَاهُ لِـتَقْرَأَهُ عَـلَى النَّـاسِ عَـلَىٰ مُكْثٍ وَنَـزَّلْنَاهُ تَـنْزِيلاً﴾

في ليلة مباركة[١] من ليالي شهر رمضان، ليلة هي سلام دائم البركة[٢] يُقدَّرُ فيها كل أمر وتنزَّلُ فيها الملائكة ومن هو أعظم منهم (الروح) حتىٰ مطلع الفجر، الليلة التي هي خيرٌ من ألف شهر ليس فيها هذه الليلة.

والصلاة والسلام علىٰ مَنْ أرسله بالهُدىٰ ودين الحق ليُظهره علىٰ الدين كلّه، وعلىٰ أئمّة الهُدىٰ خلفائه الاثني عشر، سيّما القائم المنتظر الذي يملأ الله به الأرض عدلاً ويُنجز به وعده الذي صرّح به في كتابه الكريم حيث قال: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾[٣].

---

سورة الإسراء:[١٧]١٠٦.

(١) ﴿حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ * أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ * رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ سورة الدخان [٤٤]: ١ ـ ٦.

(٢) عن السجادعليه السلام في الصحيفة في دعائه إذا دخل شهر رمضان: «سلام دائم البركة علىٰ مَنْ يشاء من عباده بما أحكم من قضائه». ومن المعلوم أن الرحمة تكون للسلام وهي غاية لتنزّل الملائكة.

(٣) سورة القصص[٢٨] : ٥.

وبعد لقد وفّقنا الله تعالىٰ في أواخر شهر شعبان من سنة عشرين وأربعمائة بعد الألف من الهجرة للاستضاءة من التفاسير الباحثة عن سورة القدر والليلة المباركة، ومذاكرتها مع بعض الأفاضل من الطلاب. وبعد الفراغ كانت المسودّات علىٰ حدٍّ يناسب التنظيم، فانتهزنا الفرص من شهر رمضان المبارك لتدوينها بعون الملك العلّام.

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

لا إشكال في أنّ البسملة آية من سورة الحمد مفتتح كتاب الله تعالىٰ وفي سورة سُليمان عند عامّة المسلمين، وعندنا آية من كل سورة تبدأ بها، ولا تتمّ قراءة سورة كاملة إلّا بقراءتها مع سائر آياتها.

ويختلف معناها والمراد منها حسب مواضعها ومتعلّقها كسائر الآيات المتّحد شكلها المتكررة صورتها في مطاوي السور والآيات، بل نقول بتعلّقها بما بعدها حتّىٰ في السور التي تبدأ بالحروف المقطّعة بعد البسملة.

فالبسملة آية أنزلها الله تعالىٰ في السورة مثل سائر الآيات، وإلّا

كانت مكرّرة وهي ليست لمحض التبرك والتيمّن باسم الله تعالىٰ بل جاءت تبياناً للاستعانة بإسم خاص تختصّ به هذه المرحلة من التنزيل.

والاسم: العلامة تشير إلىٰ الشيء وتهدي إليه، لفظاً كان أو غيره؛ ومن ذلك يقال: إنّ كلّ شيء اسمٌ لله تعالىٰ يشير إلىٰ أحد أسمائه الحُسنىٰ[1] وفي كلّ شيء له آية تدلّ علىٰ أنّه واحد.

و «الله»: اسمٌ للذات الواحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، المستجمع لجميع الكمالات بنحو أعلىٰ وأبسط، والله العالم.

بسم الله:

أي أبتدئ باسم الله تعالىٰ أو أستعين به، فإنّ الابتداء باسمه أدبٌ دينيٌّ يورث العملُ به إلفات نظر الإنسان إلىٰ القدرة المطلقة، فيعتدّ بها ويتّكل عليها، فيترتّب علىٰ ذلك النشاطُ والعزم علىٰ إتمام العمل

(١) كما فصّلناه في تفسير فاتحة الكتاب.

وتذليل الصعوبات وحلّ المشاكل، فتُفتح له الأبواب وترتفع الموانع حتىٰ التوفيق كما ورد في الحديث: «كُلُّ أمر ذي بال لم يُبدَأ باسم الله فهو أبتر ـ أو أقطع ـ». فإنّ ذلك ليس تعبّداً صرفاً بل لطف وعناية من الله تعالىٰ بعد استدعاء الإنسان والاستعانة منه ـ تعالىٰ ـ، فـإنّه خير ناصر ومعين وهو غير مستعين.

وأمّا اختصاص اسم «الله» تعالىٰ دون غيره من الأسماء، فلأنّه اسمٌ للذات المستجمع لجميع صفات الكمال ويناسب الاستعانة فـيه بكلّ عمل، فإنّ الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يُريد بأسمائه الحُسنىٰ، وكلّ فعل يوجد بالاسم المناسب له. فهو الخالق البارئ المصوّر، يَرزق مَنْ يشاء بغير حساب، بعد خلقه بخالقيّته يرزقه برازقيّته، وهكذا فيحكم ما يُريد بما هو أحكم الحاكمين، ويُحيي الموتىٰ ويُميتُ الأحياء بما هو مُحيٍ ومُميت.

### الرحمن الرحيم:

ثمّ ذكر من صفات الله تعالىٰ في مقام الاستعانة، وصف الرحمن الرحيم؛ فإنّ الأوّل خاصّ به لا يُطلَق علىٰ غيره وعامّ لكلّ إنسان بل لكلّ موجود، فإنّ رحمته وسعت كلّ شيء ولا تختصّ بمن آمن به بل

تشمل كلّ مخلوق وموجود، فإنّه تعالىٰ برحمته يعطي الوجود والحياة ويخلق ما يشاء.

والثاني عامّ يُطلق عليه وعلىٰ غيره، فإنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم بالمؤمنين رؤوف رحيم، وهم رحماء بينهم.

وخاصّ بالمؤمنين يوم القيامة، فيغفر ذنوبهم جميعاً ويُدخلهم الجنّة ويقيهم عذاب النار.

هذا ولا يخفىٰ عليك أنّ العالم الممكن الموجود بجميع مراحله ودرجاته من ملكه وملكوته كائناً مَنْ كان، ومهما كانت حقيقة وجوده وتحقّقه، ليست إلّا ربط بالوجود أو وجود ربطي كالمعنىٰ الحرفي، فإنّ كلّ ما تراه موجوداً تجده أنّه لم يكن فكان ثمّ لا يكون بعد. فهو فقير في ذاتهِ وكونهِ، إلىٰ الوجود، وهو موجود ما دام يُفاض عليه نور الوجود، وإفاضة الفيّاض المطلق هي معنىٰ إيجاده ووجوده وتحقّقه، فهو موجود بالوجود دون نفس الوجود، فإنّه موجود بنفس ذاته، وهذا هو معنىٰ الفقر الذاتي والغنىٰ الذاتي ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾[1]. ونحن الفقراء في غنانا فكيف

---

(١) فاطر [٣٥]: ١٥.

لا نكون فقراء في فقرنا[١].

إذا عرفت ذلك فقد عرفت الأشياء كما هي وأنّها ليست بشيء إلّا من ناحية مُشَيِّئِ الأشياء ومُعطي الوجود، فليس هناك نفس الإيجاد وبدء الوجود فقط بل دوام الفيض وإدامة الإفاضة والإيجاد وإنارة الأشياء بنور الوجود، علىٰ ما فُصّل في محلّه[٢].

**الأقرب عندنا:**

وعندنا «الرحمن» يشير إلىٰ نفس الرحمة الواسعة لكلّ شيء، و «الرحيم» يُشير إلىٰ دوام تلك الرحمة واستدامتها حيث يشاء وهو الحكيم الخبير في قبض الوجود وبسطه وفي إعطاء الحياة وأخذها، فالتفت.

ونحن نستعين باسم الله تعالىٰ لاستجماعه الكمالات، الرحمن

---

(١) قال الإمام الحسين عليه السلام في دعاء عرفة: (أنا الفقير في غناي فكيف لا أكون فقيراً في فقري). انظر: مفاتيح الجنان، دعاء الإمام الحسين عليه السلام في يوم عرفة.

(٢) وقال المولوي بالفارسيّة:

اگر نازى كند درهم فرو ريزند قالبها

المفيض للرحمة، الرحيم في إدامة ما أنعم من فيض الوجود والحياة وكلّ خير وبركة. فإنّه تعالىٰ رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما كما جاء في الأدعية والروايات[١].

وعلىٰ القول بتعلّق الجار والمجرور بما بعدهما كما احتمله الأُستاذ الأعظم الإمام الراحل ﷺ، فالمعنىٰ ـ والله العالم ـ: أنّ الله تعالىٰ باسم القدرة والعظمة والحكمة أنزل القرآن جملةً واحدة من أصله إلىٰ مرحلة، كما سنشير إليه إن شاء تعالىٰ.

---

(١) جاء في كثير من الروايات: أنت رحمن الدنيا مع الآخرة ورحيمهما... اللّهمّ رحمنَ الدنيا والآخرة ورحيمهما... يارحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما، وغير ذلك من التعابير المشابهة.

## ﴿إنّا أنزلناهُ في ليلة القدر﴾ (١)

**معنىٰ النزول:**

من المعلوم أنّ النزول والتنزيل في المعاني والمعارف بل في المجرّدات لا يكون من قبيل نزول الماء من السماء، والمطر من السحاب، أو نزول مسافر في منزله، بل الهبوط من السطح الأعلىٰ التجرّدي، الذي لا تناله يد الإنسان لمعرفته والاستفادة منه إلىٰ مرحلة يتمكّن الآخرون من نيله وعرفانه والانتفاع منه، مثل ما يلقي الأُستاذ علىٰ تلامذته والخطيب علىٰ مستمعيه، فيُنزل ما في فكرته ونفسه وهو علىٰ بساطةٍ وإطلاق في الكلام والخطاب المضبوط والمحدود باللغات والألفاظ الخاصّة، فشبّه ذلك بالمادّة ونزول المطر من السماء[١].

وأمّا تعبير الجمع في الموضعين كما في كثير من الآيات الكريمة

---

(١) قد أوضحنا ذلك سالفاً في مقدّمة (تفسير من فاتحة الكتاب) فراجع.

مثل قوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾[١]، وقـوله ﴿إِنَّـا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾[٢]، ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾[٣]، ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ﴾[٤]، ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾[٥]...

فقد يقال إنه للتعظيم والتفخيم كما في تعابير الملوك وأوامـرهم وأحكامهم، وقد يقال إنه حقيقيّ يدلّ علىٰ الذات والصفات والأسماء الدخيلة في تحقّق التنزيل. هذا خلافاً لما في قوله تعالىٰ لكليمه موسىٰ (علىٰ نبيّنا وعلىٰ آله وعليه السلام): ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾[٦] فإنّ الألوهيّة والعبوديّة تختصّ بالذات.

وفيه: أنّه لو كان بمعنىٰ دَخْلِ كلٍّ من أجزاء الجمع مستقّلاً في تحقّق الفعل وأن الأثر الحاصل معلول للجميع بما هم أجمـع، فـبطلان ذلك ظاهر؛ فـإنّ الأسماء والصـفات الذاتـية لا تكـون غـيرها في العـين

(١) سورة الكوثر [١٠٨]: ١.

(٢) سورة الإنسان [٧٦]: ٣.

(٣) سورة الدخان [٤٤]: ٣.

(٤) سورة النساء [٤]: ١٠٥.

(٥) سورة الدخان [٤٤]: ٣.

(٦) سورة طه [٢٠] ١٢.

والتحقّق، وإنما التعدّد بلحاظ المتعلّق واعتبار الزمن، وإلّا فهو تعالىٰ مع جميع أسمائه وصفاته الذاتية ليس إلّا واحد بالوحدة الحقيقيّة الحقّة العينيّة.

وأمّا إن كان بمعنىٰ الطريق والوسيلة فإنّ فعله تعالىٰ الصادر من قدرته وعلمه وحكمته فعل واحد صادر عن واحد بتلك الأسماء والصفات، فله وجه يرجع إلىٰ أمر آخر لا يبعد.

ولعل الوجه أن الأفعال التي تصدر عن الذات لا تتوقف علىٰ عدّة ومدة وافتقار إلىٰ سبب ووسيلة فيناسب المفرد مثل قوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾[١] فإنّ الضمير في فعل التسوية والنفخ، وكذا في «روحي» ذكر مفرداً لذلك. وأمّا في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً ...﴾[٢] إلىٰ آخر الآية فترىٰ بالجمع ومع الغير لأن تلك الأفعال تحتاج إلىٰ مادة ومدة وإلىٰ عدة؛ وذلك حسب طبع الفعل

---

(١) سورة الحجر [١٥]: ٢٩.

(٢) سورة المؤمنون[٢٣] : ١٢ ـ ١٤.

لا لضعفٍ في القدرة بل لنقص في المقدور كما فُصّل في محلّه.

وعندنا الأقرب ذلك والله العالم.

فإنّ تنزيل الكلّيات المطلقة والحقائق المحقّقة في صقع ذات الأحديّة بنحو أبسط إلىٰ الحدود القرآنيّة وصيرورتها محدّدة بنحو تفصيليّ في مرحلة خاصّة وخزانة الحكمة وسماء الدنيا المنزلة بالنسبة إلىٰ السماوات العُلىٰ المرفوعة واستقرارها في بيت المعمور وقلب النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم بحيث لم يكن له أن يعجل به ويقرأه[1]...

هذا التنزيل والإنزال من الأفعال الخاصّة الظريفة التي تتوقّف علىٰ شرائطها وظروفها، ولذلك استعمل الجمع وقال تعالىٰ وهو العالم: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا﴾ دون أنا أنزلته.

---

(١) قال أُستاذنا الأعظم الإمام الخميني قدّس سرّه في معنىٰ «أنزلناه» بالفارسية: از مقام شامخ احديت به كشف تام محمدى صلّى الله عليه وآله وسلّم تنزل كرد كه بشريت را به آنچه بايد برسد، برساند و اين وليدهٔ «علم الأسماء» را از شرّ شياطين و طاغوتها رها سازد و جهان را به قسط و عدل رساند و حكومت را به دست اولياء معصومين(عليهم صلوات الأوّلين والآخرين) بسپارد. كوثر ج ٢ ص ٧٤.

**ماهو مرجع الضمير؟**

ماهو مرجع الضمير «الهاء»؟ وما الذي أُنزل، ومن أين إلىٰ أين حينما كان جملةً واحدة؟

أمّا الضمير فلم يذكر قبله من مرجع، إمّا لوضوحه أو تفخيماً وتعظيماً له وهو القرآن قطعاً؛ لما صرّح به في سورة الدخان، قال تعالىٰ: ﴿حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾(١)، فإنّ المرجعَ في الآيةِ الكتابُ المبين. وحيث إنّ ليلة القدر هي ليلة مباركة فالمرجع هنا أيضاً الكتاب المبين والقرآن العظيم، ولا يصحّ تعدّد ليلة القدر التي أُنزل فيها ما أنزل مع الليلة المباركة التي أنزل فيها الكتاب المبين، وإن لم يكن ممتنعاً.

وبذلك نطمئنّ بأنّ النازل في ليلة القدر، المذكور في الآية، هو القرآن الكريم الكتاب المبين.

فعن المفسّرين رحمهم الله أنه هو «القرآن الكريم» كما صرّح به قوله تعالىٰ: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنزَلْنَاهُ

---

(١) الدخان [٤٤]: ١ ـ ٣.

﴿فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾[١] فإنّ القرآن الكريم هو الكتاب المبين.

وكذلك الآيات الأُخرىٰ ونذكر بعضها.

﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ...﴾[٢].

﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[٣].

﴿الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾[٤].

﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾[٥].

﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾[٦].

﴿وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ

---

(١) الدخان[٤٤]: ٤.

(٢) سورة الأنعام[٦]: ٩٢.

(٣) سورة الأنعام[٦]: ١٥٥.

(٤) سورة يوسف[١٢]: ٣.

(٥) سورة إبراهيم[١٤]: ١.

(٦) سورة ص[٣٨]: ٢٩.

تَنْزِيلاً﴾(١).

ولكن التأمّل في تلك الآيات والاستدلالات يفيد أمراً آخر، وهو أنّه إن كان مرادهم القرآن بعد مانزل واستقرّ في منزله وكتب في اللوح المحفوظ، والبيت المعمور، أو السقف المرفوع السماء الدنيا، أو خزانة الحكمة قلب النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم فله وجه. ولكن ماهو المُنزَّل قبل النزول والاستقرار علىٰ اللوح؟ وماهو الذي أنزله الله تعالىٰ تنزيلاً في ليلة القدر، وما كان قبل ذلك التنزل والهبوط؟ وهل يصدق عليه القرآن حينئذٍ حتّىٰ يكون مرجعاً للضمير في أنزلناه أو لا؟

والحقّ المساعد للاعتبار ـ والله العالم ـ أنّ القرآن الذي يمكن أن يُقرأ بكلماته وآياته وسوره ويمكن أن يُكتب علىٰ الألواح والقراطيس لم يكن إلّا الحقائق الحقّة المتحقّقة في علمه تعالىٰ الذي هو عين ذاته بنحو ربط دون التفاصيل، فأراد الله تعالىٰ أن يُنزلها حتّىٰ يتمكّن العباد من التوصّل إليها والتقرّب بها والاستفادة منها والاهتداء بها فأنزلها الله تعالىٰ جملةً واحدة من تلك المرحلة الكلّية البسيطة إلىٰ عالم الكلمات والجملات والآيات في ظرف يناسبها

(١) سورة الإسراء[١٧]: ١٠٦.

ويقدر أن يحويها وعلىٰ لوح يحفظها، وهذه أوّل مرحلة النزول؛ كما في علم تحقّق في نفس العالم قبل أن يتكلم به أو يكتبه، فإذا أنزل علمه الكلّي المطلق عن قيود الكلمات إلىٰ الجملات والعبارات الخاصّة يتبدّل ذلك العلم إلىٰ الخطابة أو الرسالة والمقالة، ولا تصدق تلك العناوين علىٰ ذلك العلم قبل النزول والتنزيل.

وعليه فالضمير في قوله تعالىٰ ﴿أنزلناه﴾ راجع إلىٰ تلك الحقائق الحقّة المتحقّقة في صقع العلم الربوبيّ الذاتيّ ولم يكن عندئذٍ قرآناً وكتاباً، وبعد ما أنزلها الله تعالىٰ من تلك المنزلة إلىٰ السماء الدنيا المنزل الأقرب بالعباد وخزانة الحكمة وهو قلب النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم في ليلة القدر مجموعاً وجملةً صار كتاباً مكتوباً علىٰ لوح محفوظ وقرآناً يمكن أن يُقرأ، ولكن قد نهىٰ عن تحريك اللسان به قبل أن يصل وقته المناسب.

وعندنا ـ والله العالم ـ هذه الحقائق الحقّة المتحقّقة في العلم الذاتيّ المصاغة في الكلمات والآيات المحفوظة مع عدم جواز التلفّظ في هذه المرحلة بل النهي عن تحريك اللسان به ليعجل[1] نُزّلت في الليلة

---

(١) ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ سورة القيامة [٧٥] ١٦.

المباركة علىٰ ظرف ومنزل ومستقرّ مبارك هو الأنسب من الظروف، وهو النفس النبويّة المقدّسة التي رُبِّيَتْ لأن يُلقىٰ إليها القول الثقيل. وهذه مرحلة الإنزال من البيت المعمور وهي خزانة حكمة الله تعالىٰ أو المُشرف علىٰ البيت[١].

وأمّا الآيات التي استُدِلّ بها علىٰ أنّ مرجع الضمير القرآن، فلا تدلّ علىٰ المدعىٰ، فإنّ القرآن الكريم أو الكتاب المذكور فيها هي المُنزّل بعد نجوماً، من ذلك المنزل الرفيع الجمعي كما هو ظاهر.

وبعبارة أُخرىٰ: لا إشكال في أنّ القرآن قد أُنزل من صقع علم الله تعالىٰ عندما كان في كتاب مكنون ولوح محفوظ، ولم يمكن أن تتناوله أيدي الناس لينتفعوا به.

وقد أراد الله تعالىٰ أن يُنزِله حتىٰ يجعله في منزلٍ يمكن أن يكون في متناول أيدي الناس ليهتدوا بهداه، فأنزله من ذلك المقام والعلم المطلق والصقع الربوبيّ علىٰ قلب نبيّه وخليفته، خاتم أنبيائه صلى الله عليه وآله وسلم حيث إنّه أخذه بوحيه ثمّ قرأه بلسانه الشريف علىٰ عباده واستُمع من بين شفتيه، وكتبه كُتّابُ الوحي، وحفظه كثير من المسلمين، وكان ذلك

---

(١) عبّر عنها الإمام الخميني قدس سره، الكشف التام المحمّدي صلى الله عليه وآله وسلم.

طيلة ثلاثة وعشرين سنة، أيام نبوّته الشريفة متدرّجاً ومتعلّقاً حسب الضرورة والتناسب والافتقار.

إلّا أن أوّل سورة القدرة ـ هذه السورة ـ يُصرّح بأنّه قد أُنزل في ليلة واحدة ـ ليلة القدر ـ[١] وكذلك أوّل سورة الدُخان تصف الليلة التي أُنزل فيها القرآن بأنّها مباركة[٢]، وآية شهر رمضان[٣] تدلّ على أنّه أُنزل في ذلك الشهر.

مع أنّنا نعلم بالضرورة أنّ نزول القرآن الذي بين الدفّتين وبأيدينا، كان متفرّقاً ومتدرّجاً طيلة زمن رسالة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بمقتضى الزمان والمكان وحسب القضايا والوقائع.

فكيف الجمع بين الأمرين؟ وما معنى الآيات؟

والحقّ الأقرب كما عند الأصحاب: أن للقرآن الكريم في نزوله من صقع العلم الربوبيّ إلى الكلام المسموع عن لسان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم منازل، فقد أُنزل مرّة بأجمعه ودفعة إلى السماء الرابعة أو إلى السماء

---

(١) ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾. سورة القدر [٩٧]: ١.

(٢) ﴿حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ الدخان [٤٤]: ١ ـ ٣.

(٣) ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ...﴾ البقرة [٢]: ١٨٥.

مطلقاً، فخرج عن الوجوب وصار مخلوقاً موجوداً ممكناً أو إلىٰ قلب النبيّ الأعظم وعمق روحه الشريف، ثمّ قيل له: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾(١)، ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾(٢)، ﴿وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾(٣).

ثمّ أُنزل متفرّقاً ومتدرّجاً من هذا المنزل حسب الضرورة إلىٰ المسموع والمكتوب طوال زمن البعثة والنبوّة، وهو هذا القرآن الذي بين الدفّتين وبأيدينا، وهو الثقل الأكبر أحد الثقلين الذين تركهما النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم في أُمّته، حيث قال: «إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا»، فلا تهافت في المقام بل هو الاعتبار وتناسب النزول من ذلك المقام الأعلىٰ إلىٰ العالم الأدنىٰ حتّىٰ نتمكن من استماعه وتلاوته ولنهتدي بهداه أن يكون له منازل، والآيات أشارت إلىٰ منزلين:

الأوّل: جملةً واحدة أُنزل إلىٰ ما أُنزل مثل قلب الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم.

---

(١) طه [٢٠]: ١١٤.

(٢) القيامة [٧٥]: ١٦ ـ ١٨.

(٣) الإسراء [١٧]: ١٠٦.

الثاني: متقطّعاً ومتدرّجاً أُنـزل إلىٰ نـفسه الشريـفة وقـضىٰ له وحيه، فأجرىٰ علىٰ لسانه كما عرفت.

وقد يُعبّر عن هذين النزولين (الدفعي والتـدريجي)، بـالنزول الإجمالي والتفصيلي. كما أشار إليه صاحب الميزان، وهـو أقـرب إلىٰ الاعتبار.

هذا كلّه في النزول والنازل والمنزل من قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ﴾.

وأمّا وقت النزول وظرفه فهو ليلة ﴿القدر﴾ .

## ﴿فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾

ماهي ليلة القدر؟ ما حقيقتها وما معناها؟

ما معنىٰ أنّها خير من ألف شهر؟ وماهي حقيقة نزول الملائكة والروح فيها بإذن ربّهم؟ وماذا يعملون ويتدبّرون حتّىٰ مطلع الفجر؟

إنّا نفهم إجمالاً أنّها ليلة واحدة من الليالي، وأنّها مباركة، فـقد وقعت فيها حادثة عظيمة وهي نزول القرآن الكريم وقضت بخير.

ولكن هل كانت هذه الليلة متّصفة أو مسمّاة بالقدر قبل وقـوع هذه الواقعة كما هو ظاهر الآية الشريفة، أو سُمّيت بها بالوقوع، مـن

جهة أنّ القرآن الكريم قدّر مجموع عالم الوجود والحياة في صورته اللفظيّة والكتبيّة، بحيث إذا صار عينيّاً كان هو مجموع عالم الوجود، وعالم الوجود إذا صار لفظيّاً وكتبيّاً يكون هو هذا القرآن ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾(١).

وهل كانت هذه الليلة خيراً من ألف شهر من قبل نزول القرآن فيها ومن بعده، أم صارت كذلك بتلك الواقعة لشرفها وعظمتها وما ترتّب علىٰ نزول القرآن ويترتّب عليه إلىٰ يوم القيامة؟ وأيّ خير أكثر من هذا!؟ فهي خير من ألف شهر؟ وسيأتي الكلام فيه إجمالاً إن شاء الله.

كذلك مسألة نزول الملائكة مع الروح فيها وسلامها إلىٰ مطلع الفجر إمّا كانت لها في كلّ سنة من قبل نزول القرآن ومن بعده، أو صارت بذلك النزول كذلك.

وكيف كان فهي ليلة واحدة من الليالي التي تحقّقت وتتحقّق ويتعقّبها النهار كما لا يخفىٰ.

إلّا إنّ هناك سؤالاً لابدّ من التوجّه إليه يرجع إلىٰ ليلة القدر

---

(١) سورة الأنعام [٦]: ٥٩.

ومصداقه في كلّ سنة، فارغاً عن مسألة نزول القرآن فيها في زمن حياة النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، فإنّه كان قضيّة في واقعة أو واقعة في قضيّة من القضايا الربوبيّة ومقدّراتها التي مَضَت، والفرض أنّ ليلة القدر لا تختصّ بالليلة التي أُنزل فيها القرآن من قبل في زمن حياة الرسول صلى الله عليه وآله بل في كلّ سنة ليلة واحدة هي ليلة القدر كما هو مقتضىٰ ظاهر آيات السورة وروايات الباب والأدعية الواردة فيها كما تعرف.

فنقول: من المعلوم أنّ الليل والنهار من آيات الله تعالىٰ وقد جعل ـ سبحانه ـ آية النهار مبصرة ماحية لآية الليل؛ قال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾(١). وجعلها خِلْفَةً؛ قال تبارك وتعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً وَقَمَراً مُنِيراً * وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُوراً﴾(٢).

---

(١) الإسراء [١٧]: ١٢.

(٢) الفرقان [٢٥]: ٦١ ـ ٦٢.

وهو الذي يُغشي الليلَ النهارَ ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ...﴾(١).

ويولج كلاًّ منهما في صاحبه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾(٢).

ويكوّر كُلاًّ علىٰ الآخر: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾(٣).

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الأَلْبَابِ﴾(٤).

وأنت تعلم أنّ ذلك كلّه بما جعل الله تعالىٰ الأرض كرة من كرات المنظومة الشمسيّة المجذوبة لها، وهي مع أنّها تدور حول نفسها،

---

(١) الأعراف [٧]: ٥٤.

(٢) لقمان [٣١]: ٢٩.

(٣) الزمر [٣٩]: ٥.

(٤) آل عمران [٣]: ١٩٠.

تدور حول الشمس مركز منظومتها وهي السراج المنير، كما الشمس المضيئة تدور حول نفسها. نصفها المحاذي للشمس نهار دائماً ونصفها الآخر ليل كذلك، وكلٌّ يسير علىٰ سطح الأرض بدورانها.

وحينئذ فكلّ نقطة ذات ضياء ونور عندنا، هي محاذية للشمس، تكون النقطة المقابلة لها علىٰ سطح الأرض ـ أي في الوجه الآخر ـ في ظلّ وظلمة.

وأمّا طول الليل وقصره وكذلك النهار، فيرجع إلىٰ الفصول الناشئة عن دوران الأرض حول الشمس، وعليه فكلّ يوم وليلة يتحقّق من دورة واحدة للأرض حول مركزها ومحورها ودائماً نصف سطح الأرض ليل ونصفه الآخر نهار.

ومن ذلك يظهر معنىٰ ليلة واحدة ونهار واحد ونتبيّن منها أيام الأسبوع والأشهر ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللهِ﴾[1] وذلك يرتبط بوجود القمر وهو كرة أُخرىٰ تدور حول الأرض ومع الأرض يدوران حول الشمس.

قال تعالىٰ: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ

(١) التوبة [٩]: ٣٦.

الْعَلِيمِ ۝ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ۝ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾(١).

فإنّ مدارَ كلٍّ غيرُ الآخر، والقمر أيضاً مستنير من الشمس كالأرض، وما نرىٰ منه ونحن علىٰ سطح الأرض من هلاله إلىٰ قرص البدر هو القسم الذي يُحاذي الشمس والأرض. ومن ذلك أيضاً تتّضح آيات الخسوف والكسوف، ولسنا بصدد شرح تلك المسائل الواضحة المشروحة في محلّها وإنّما المراد إيضاح معنى الليلة وأنّها واحدة.

## ليلة القدر واحدة

ليلة القدر ليلة واحدة من كلّ سنة. وقد جُعلت الأيام والليالي طيلة الأُسبوع والشهر والسنة لنعلم عدد السنين والحساب زائداً علىٰ بركاتها وأنّ الليل سكن والنهار لنبتغي من فضله.

وهذه الأُمور التكوينيّة في نظام الطبيعة من خلق السماوات

---

(١) يس [٣٦]: ٣٨ ـ ٤٠.

والأرض لا تنالها يد الجعل والاعتبار.

وقد يتّصف الليل بأوصاف إضافيّة كالنهار، فيقال ليلة الجمعة ويومها، ليلة النصف من شعبان ويومه. وبالوصف يشار إلىٰ ليلة واحدة خاصّة أو يوم واحد خاصّ ثمّ قد يعتبر فيها أحكام اعتباريّة ومشروعات جعليّة من قبل الشارع وجوباً أو استحباباً أو غيرهما، فيقال بوجوب صلاة الجمعة مثلاً أو استحباب الدعاء في ليلة الجمعة وهكذا.

وحينئذ تكون ليلة الجمعة واحدة من ليالي الأُسبوع معيّنة يسبقها غيرها ويلحقها كذلك غيرها، فإذا كنّا في ليلة الجمعة مثلاً يستحبّ لنا الدعاء كذا وكذا.

ويجب أو يستحب لنا صلاة الجمعة في يومها عندما يكون الآخرون الساكنون في النصف الآخر من الكرة الأرضيّة في يوم الخميس، وعندما أدركنا يوم الجمعة فهم في ليلتها. وذلك واضح لا يحتاج إلىٰ المزيد من البيان ولا جُناح ولا منع في الاعتبارات الشرعيّة والتكاليف علىٰ العباد في نطاق مساكنهم وآفاق منازلهم من الصوم والصلاة والإمساك والإفطار، فيقال صُمْ للرؤية وافطر للرؤية

أو ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ﴾[١] في أفـقك ومنزلك ومسكنك، ولا محذور في اختلاف تلك التكاليف علىٰ العباد حسب ذلك الاختلاف، فعندما يجب علىٰ عبدٍ الإمساك قُبيل طلوع الفجر في شهر رمضان مثلاً يجوز في نفس ذلك الوقت الإفطار للصائم الشاهد للشهر، الساكن في نصف الكرة المقابل لمسكن الأوّل، وهكذا حسب اختلاف الآفاق والساعات.

وأمّا إذا بلغنا إلىٰ الوصف التكويني اتّصفت به الليلة وواقـعة تكوينيّة تحقّقت في ليلة بعينها أو نهار معيّن مثل ليـلة القـدر، ويـوم المبعث النبوي ونزول الوحي علىٰ الرسول الأكرم ﷺ، فإنّ الليلة التي كانت متّصفة بالقدر هي التي أُنزل فيها القرآن وكانت ليلة معيّنة واحدة في قسم من سطح الأرض الذي كان فيه منزل القرآن.

فإن قلنا بنزول القرآن علىٰ قلب النبيّ الأكرم ﷺ فهو بنفسه الشريفة كان يعيش في ليلةٍ عند نزول القرآن وكان القسم الآخر من سطح الأرض عندئذ نهاراً، ولكن هذه قضيّة تكوينيّة واقعة في زمان معيّن فنزل القرآن الكـريم جمـلة واحـدة عـلىٰ مَـنزِلِهِ وهـو قـلب

---

(١) الإسراء [١٧]: ٧٨.

النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم على ماهو الحقّ عندنا، وكانت هذه الواقعة قد وقعت في ليلة واحدة معيّنة بلا إشكال.

هذه الليلة التي نزل فيها القرآن على منزله وهو قلب النبيّ الأكرم ونفسه الشريفة صلى الله عليه وآله وسلم كانت متّصفة بالقَدْر قبْل هذه الواقعة كما هو ظاهر قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾، وإن كان لا بأس بالقول بأنّها صارت ليلة القدر لوقوع هذه الحادثة ونزول القرآن فيها، فإنّه كتاب مكنون وقدر مقدور وهو نسخةُ جميع الكون ونظام الوجود والحياة لكلّ موجود وذي حياة، فسُمّيت الليلة بالقدر لأنها أُنزل فيها ما فيه كلّ المقدورات من أحكام الحدود وغير ذلك.

ومهما يكن فإنّ تلك الليلة، كانت واحدة معيّنة وقعت فيها واقعة خاصّة هي نزول القرآن الكريم، ومضت الليلة بواقعتها.

إلّا أنّ الكلام في سائر أوصافها وما يقع فيها عندما تدور السنة وتصل إلى الليلة التي كانت مثلها في السنة التي وقعت فيها الواقعة، فإنّ ظاهر تلك الأوصاف أنّ ليلة القدر هي إحدى ليالي السنة المحاذية لليلة التي وُصفت بالقدر ونزل فيها القرآن.

فإنّ توصيفها بأنّها خير من ألف شهر وبأنّها تتنزّل فيها الملائكة سيّما الروح رئيسهم وأعظمهم وبأنّها السلام وأنّ نزول الملائكة

وسلامها سيكون فيها حتّىٰ مطلع الفجر، لا يكون أمراً اعتبارياً جعليّاً شرعيّاً، بل هو حقيقة تكوينيّة وواقعة تقع في تلك الليلة من كلّ سنة مرّة، وسلامها سلام تكويني وعروجهم بعد طلوع الفجر أمر تكويني، وإنّ تلك الأُمور إذا كانت واقعة في الليل لابدّ وأن تقع في قسم من سطح الأرض يكون الوقت فيها ليلاً.

وعندئذ تُطرح الإثارة التالية: إن ليلة القدر التي تكون واحدة من ليالي السنة، معيّنة في نفس الأمر بين الليالي، وتقع فيها تلك الحوادث، من نزول الملائكة مع الروح من كلّ أمر، والنزول هذا يكون بإذن ربّهم، ولهم في نزولهم هذا حكمة وفلسفة وعلّة وجهة سيّما أنّهم يكونون من كلّ أمر، أي لكلّ منهم أمر غير الآخر وشأن غير شأن الآخر وهم علىٰ سطح الأرض في الليلة حتّىٰ مطلع الفجر، وفي الوقت نفسه يكون القسم الآخر من الأرض مضاءً أي النهار فيه محقّق ولا يكون ليلاً إلّا بعد مضيّ الليلة من القسم الأوّل وعندئذ تصل النوبة إليه...

وحينئذ فليلة القدر المعيّنة، الليلة الواحدة، ستتحقّق في نصف الكرة الأرضيّة وتتنزّل فيها الملائكة مع الروح من كلّ أمر بإذن ربّهم حتّىٰ مطلع الفجر، ثمّ يعرجون بعده إلىٰ السماء وإلىٰ منازلهم، فلا يكون

ذلك (أي القدر) إلّا لمن يسكن هذا القطب من الأرض، ولا معنىٰ لبقائهم في السطح الظلماني وحركتهم مع ظلمة الليلة إلىٰ أن تدور الأرض دورة واحدة أي ليلة ونهاراً حتّىٰ تتحقّق ليلة القدر لكلّ من كان ساكناً علىٰ الأرض في جميع أقطارها وأقطابها.

كما لا يصحّ أن يقال بأن ليلة القدر في هذا القطب من الأرض الذي يكون ليلاً، وغداً إذا صارت الأرض هناك نهاراً وصار القسم الآخر ليلاً فيكون قدراً لساكني البقعة الثانية، فإنّ ذلك يلزم منه تعدّد نزول الملائكة وتعدّد الليالي حسب الآفاق، مع أن ذلك أمر تكوينيّ، والوصف يرشد إلىٰ حقيقة تكوينيّة. وروح السؤال في الإثارة لا يرتبط بمسألة نزول القرآن، فإنّه قضيّة في واقعة وقعت ومضت ولا كلام فيها إنّما الكلام في ليلة القدر من سنتنا هذه عندما تكون في الليلة ونفرض أنّها هي ليلة القدر فماذا تكون ليلة قدر إخواننا المسلمين الساكنين في القسم المقابل لمسكننا كما هو ظاهر إذا تأمّلنا.

## الفرق بين التكوين والاعتبار

ومحصّل السؤال بعبارة أُخرىٰ أن الليلة أمر تكويني ونزول الملائكة فيها واقعة تكوينيّة، تدبيرهم في الليلة بعد نزولهم علىٰ سطح

الأرض إلىٰ مطلع الفجر أيضاً تكويني كما أن رجوعهم إلىٰ مراجعهم بعد طلوع الفجر أيضاً تكويني، وتلك الأُمور تقع في ليلة واحدة بعينها طيلة السنة ولا تكون متعدّدة.

والليلة الواحدة لا تكون إلّا في أحد نصفي سطح الكرة الأرضيّة حينما يكون النصف الآخر نهاراً، ونحن عباد الله تعالىٰ نعيش علىٰ الأرض في آفاقها وأقطارها، فعندما نصل إلىٰ ليلة القدر في أُفقنا وبلادنا التي تكون ليلاً فإنّ ليلة القدر تنتهي مطلع الفجر في القسم الذي نعيش عليه. وبمرور الزمان وطلوع الفجر وولوج النهار في الليل ينقطع ذلك النزول والتدبير والسلام، والفرض أن ليلة القدر ليلة واحدة فقط، وحينئذ فلا معنىٰ لتحقّق ليلة القدر لإخواننا الذين كانوا في النهار عندما كنّا في الليل ليلة القدر.

وحينئذ فكيف يكون تكليفهم بالنسبة إلىٰ الليلة وعباداتها ودركها ودرك ثوابها مع أنّها جاءت ومضت في نصف سطح الكرة الأرضيّة، والليلة الآتية تلو الليلة علىٰ سطح النصف الآخر ليلة أُخرىٰ من الأُسبوع والشهر.

وما أُجيب بذلك قياساً علىٰ التكاليف الشرعيّة الاعتباريّة المجعولة غير تام، فإنّ الأمر فيها سهل وبيد المعتبر ولا تزاحم في

الاعتباريات سيّما في مقام جعل التكليف على العناوين والموضوعات وإن كان قد يقع التزاحم في مقام العمل والامتثال وعالم الإيجاد والكون كما في إنقاذ الغريق والتصرّف في ملك الغير غصباً أو حرمة قطع الصلاة ووجوب إنقاذ الطفل من الحرق والغرق أو السقوط من عالٍ وأشباه ذلك.

ولا كلام في إمكان جعل الاستحباب لإحياء ليلة من ليالي شهر رمضان والدعاء فيها حتّىٰ مع تعيّنها مثل ليلة التاسع عشر أو الواحد والعشرين أو غيرهما، فإنّ ذلك العنوان يتحقّق لكلّ حسب ناحيته وأُفقه والبقعة التي يعيش فيها من بقاع الأرض المتجاورات.

وذلك غير ليلة القدر التي تكون خيراً من ألف شهر وتتنزّل فيها الملائكة والروح من كلّ أمر وتكون سلاماً حتّىٰ مطلع الفجر، فإنّها واحدة متحقّقة في أحد نصفي الأرض تأتي وتمضي ولا تكون إلّا واحدة.

ولذلك إذا قطعناها عن القطع المتجاورات والعباد الساكنين عليها فلا كلام ولا إشكال، فإن ليلة القدر إحدى ليالي شهر رمضان مثلاً معيّنة في نفس الأمر، ووفق إرشاد الأئمة عليهم السلام تقرب من إحدىٰ الليالي الثلاثة أو الليلتين، وتكون في نفس الأمر مُعيّنة مشخّصة تتنزّل

فيها الملائكة يتدبّرون الأُمور بما هم جنود الرحمن إلىٰ آخر الأوصاف التكوينيّة.

سيّما إذا قلنا إن الملائكة في ليلة القدر لا ينزلون علىٰ سطح الأرض في الليلة فقط بل ينزلون علىٰ حُجّة الله تعالىٰ وإمام العصر ووليّ الأمر ذي النفس الإلهيّة التي تناسب نزول الملائكة عليه ـ عجّل الله فرجه الشريف ـ كما كانوا ينزلون علىٰ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم سيّما رئيسهم وأعظمهم الروح إن قلنا بأنّه جبرائيل.

وعندئذ ليلة القدر هي التي تكون مشخّصة من ليالي شهر رمضان في النقطة التي يكون فيها حُجّة الله ووليّه عليه السلام من الغروب إلىٰ مطلع الفجر فقط ولا يكون تكويناً إلّا علىٰ تلك النقطة وفي نصف سطح الأرض الذي تولّىٰ عن الشمس ووقع في ظلٍ وظُلمة عندما يكون نصفه الآخر مواجهاً للشمس ونهاراً وذو نور وضياء، والليل ليله والنهار نهاره، فتوجّه.

### ﴿وما أدراك ماليلة القدر﴾ (٢)

هذا السياق يُرىٰ كثيراً في القرآن الكريم كلّما أُريد تعظيم أمرٍ وتبيين أنّه لا يُعلم كنهه بسهولة وأنّه أمرٌ مستور حقيقته يُستكشف

بعض شؤونه بعلائمه وخواصّه، وذلك معنىٰ درىٰ وأدرىٰ[١].

أيّ شيء أعلمك وأدارك أنّ ليلة القدر ماهي؟ ومن أيّ طريق عرفت وعلمت أنّ ليلة القدر تلك الليلة؟

ألم تعلم أن طرق المعرفة العاديّة غير كافٍ في تعريفها ولا تقدر علىٰ معرفتها علىٰ ماهي عليه، فإنّها خير من ألف شهر وتتنزّل فيها الملائكة...

هذا السؤال والجواب من عند السائل طريق خاص في القرآن الكريم لبيان عظمة موضوع البحث وأن تعريفه لابدّ وأن يكون من قِبل الله تعالىٰ ولا سبيل إليه إلّا منه تعالىٰ؛ ولذلك أجاب بعد السؤال

---

(١) درىٰ الشيء ودري به يدري دريّاً بفتح الدال وكسرها وسكون الراء ودراية ودَرية ودرياناً بكسر الدال ودَرَياناً بفتحتين ودَرِياناً بفتح الدال وكسر الراء ناقص يائي من باب ضرب نحو رمىٰ: علمه وقبل التوصل إلىٰ علمه بضربٍ من الحيلة يقال لا أدري ماهذا الأمر: لا أعلمه، ويقال: لا أدري، لكثرة الاستعمال. قال تعالىٰ: ﴿ولم أدرِ ماحسابيه﴾. يقال دريت به ودريته درية: فطنت وشعرت بنوع من الحيلة؛ ولذلك لا تستعمل الدراية في الله تعالىٰ. الدراية بالشيء: العلم به مع تكلّف وحيلة وفي الاصطلاح العلمي أخذٌ بالنظر والاستدلال الذي هو الفروع إلىٰ الأُصول، والدراية أخصّ من العلم. «عن البصائر».

بتعريفٍ ما ، نُشير إلىٰ بعض الموارد:

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ * نَارُ اللهِ الْمُوقَدَةُ﴾(١).

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ * يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾(٢).

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ﴾(٣).

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ * النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾(٤).

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ * ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ * يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً﴾(٥).

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾(٦).

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ﴾(٧).

---

(١) الهمزة [١٠٤]: ٥ ـ ٦ .

(٢) القارعة [١٠١]: ٣ ـ ٤.

(٣) البلد [٩٠]: ١٢ ـ ١٣.

(٤) الطارق [٨٦]: ٢ ـ ٣ .

(٥) الانفطار [٨٢]: ١٧ ـ ١٩.

(٦) المرسلات [٧٧]: ١٤.

(٧) المدثر [٧]: ٢٧.

وغيرها من الآيات.

وصيغة «أدري، يدري» في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ﴾(١) وأمثالها(٢) وكذلك مورد البحث ﴿وما أدراك ماليلة القدر﴾ تدل علىٰ أن ليلة القدر لا يُعلم قدرُها ومنزلتها بسهولة ولها شأنٌ وعظمة خاصّة يفهم ذلك من السؤال: أيّ شيء أعلمك وأدراك ماهي ليلة القدر؟ وما هو ومن هو الذي علّمك وأعلمك كيف تكون؟ أي ما تعلم منها لا يكون تمام الحقيقة؛ لأنّ العلم بها علىٰ ماهي عليها متعذّر أو متعسّر كما أنّ الأمر كذلك في حقيقة القارعة والهاوية والعقبة والحاقّة بل أصل يوم الدين وما نعلم منها بالنسبة إلىٰ حقائقها شيء

(١) سورة عبس [٨٠]: ٣.

(٢) قال رسول الله ﷺ: «أُمرت بمداراة الناس كما أُمرت بتبليغ الرسالة» بحار الأنوار: ج ٧٧، ص١٥٣.

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «المؤمن يُداري ولا يُماري» بحار الأنوار: ج٧٨، ص٢٧٧.

وقال رسول الله ﷺ: «مُداراة الناس نصف الايمان والرفق بهم نصف العيش».

وقال ﷺ: «رأس العقل بعد الايمان بالله مداراة الناس في غير ترك حق» بحار الأنوار: ج٧٧، ص١٤٧.

يسير.

## ﴿ليلة القدر خيرٌ من الف شهر﴾ (٣)

**أوصاف ليلة القدر:**

الخير والبركة قد يكون في شيء بنفسه ومن نفسه لا يحتاج في في معرفته إلىٰ الإضافة والقياس، فيقال مثلاً: الصلح خير، الصلاة خير موضوع مَنْ شاء استقلّ ومَنْ شاء استكثر.

وقد يكون خيراً بالإضافة إلىٰ شيء آخر، فيقال خير البرّ عاجله، خير الصدقة أخفاها، خير الأُمور أوسطها، فينقسم البرّ إلىٰ آجل وعاجل، ويقاس أحدهما بالآخر ويقال هذا الخير خيرٌ من ذلك، وتنقسم الصدقة إلىٰ الخفيّ والجليّ أو الخفيّ والأخفىٰ وغيرها، ويقال أخفاها خيرها وكذلك الأُمور.

وقد يقاس إلىٰ شيء آخر من غير جنسه، فيقال: الصلاة خيرٌ من النوم.

وفي المقام قال الله تعالىٰ: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾، فقيست ليلة واحدة: (ليلة القدر) وهي البرهة من الزمان إلىٰ زمان طويل يشمل الليالي والأيام، وأن هذه البرهة القصيرة المعيّنة خيرٌ

من تلك الأزمنة الكثيرة، الطويلة الشهور بل ألف شهر، ولا يلزم أن يقال إذا لم يكن فيها ليلة القدر فإنّه قياس زمان إلىٰ زمان، فلنقل بأنّ هذه البرهة مع قصرها خير من ذلك الزمان مع طوله وكثرة لياليه وأيامه، وليس المراد عين ألف شهر حتّىٰ لا يتصوّر خلوّها عن ليلة القدر وليلزم التقيّد بنفيها.

لكن الكلام في الخير والشر أو في الخير قليله وكثيره للزمان وأنّ ذلك وصف لذاته أو بلحاظ الحوادث الواقعة فيها خيراً قليلاً وكثيراً أو خيراً وشرّاً.

فإنّ الزمان وذاته بعد الغمض عن البحث عن مهيّته وأنّه ليس إلّا نفس حركة الأرض حول محورها وحول الشمس ولا يوجد في العين غير تلك الحركة أمر نُسمّيه بالزمان وما يوجد من الليل والنهار كما عرفت جعله الله تعالىٰ ليعرف به عدد السنين والحساب وإلّا ليس الزمان بأمر موجود في الخارج حتّىٰ نقول ذلك هو الزمان، إلّا أن الحوادث الواقعة فيها بآثارها تصف الزمان بالخير والشرّ أو الخير الكثير والقليل، فإنّ زمان بعثة النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ونزول الآيات، وزمان هجرته، وزمان فتح مكّة... يتّصف بخير، وزمان خروجه عن مكّة خائفاً يترقّب وزمان وفاته وقطع الوحي لا يتّصف بالخير.

فإن قلنا بذلك فهذا يعني أنّ الزمان بذاته ليس فيه خير ولا شرّ بعد فرض وجوده بل الوقائع الحادثة فيه إن كان خيراً فهو خير وإن كان شرّاً فشرّ. فإن قلنا إنّ يوم الجمعة خير الأيام وليلتها خير الليالي فذلك لما تقع فيها من عنايات خاصّة من الله تعالىٰ لعباده أو لما وقع فيها وقائع خير.

فإذا قلنا ليلة القدر خيرٌ من ألف شهر فمعناه أنّه قد وقعت فيها حوادث خير علىٰ حدٍّ إذا قيس إلىٰ الوقائع التي وقعت أو تقع في طول ألف شهر تكون آثار الوقائع في ليلة القدر وبركاتها أكثر ممّا في ألف شهر ويُحذف العامل والجهة ويقال ليلة القدر خير من ألف شهر.

ومحصّل ذلك أنّ الآية تدلّ علىٰ أنّ ما وقع في الليلة في السنوات الماضية والقرون الخالية وما يقع فيها في كلّ سنة بآثارها وبركاتها في نظام الخلقة وعالم الوجود ولا سيّما الإنسان في حياته وعيشه وتدبيره فرداً وجمعاً وحتّىٰ في مماته ووفاته أكثر خيراً ممّا وقع ويقع في ألف شهر، وذلك يشير إلىٰ أهميّة ما يقع في الليلة وما يترتّب علىٰ نزول الملائكة وتدبيرهم كما هو واضح، ولذلك أُشير إلىٰ ذلك الخير في الآيات التالية بنزول الملائكة وسلامها إلىٰ مطلع الفجر فالتفت.

ومع ذلك قد يقال إنّ الآية بعد التعظيم والإشارة إلىٰ صعوبة

معرفة ليلة القدر علىٰ قدرها، تُعرّفها وتشرح أوصافها وخصائصها وأُولىٰ تلك الخصائص تبدو بالمقارنة مع الأزمنة الأُخرىٰ من جنسها أوّلاً، ولا تقارنها بليلة واحدة أُخرىٰ بل بالليالي والأيام والشهر الحاصل من دورة القمر المرئي حول سطح الكرة الأرضيّة حيث دورته من الهلال إلىٰ الهلال ثلاثون يوماً وليلة أو تسع وعشرون حينما تدور في فلك ومدار خاص حول الأرض، والأرض حول نفسها وفي فلك ومدار حول الشمس. يقول تعالىٰ: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾(١) و ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً﴾(٢) فقورنت ليلة القدر مع ألف شهر وإن ليلة واحدة (ليلة القدر) خيرٌ من جميع الليالي والأيام في ألف شهر.

وصريح ذلك أن نفس هذه الليلة بذاتها وبخصائصها الذاتية خيرٌ من جميع الليالي والأيام من ألف شهر بنفس ذواتها لا لأنّ العمل فيها خير من العمل في ألف شهر خاص مضىٰ من حكومة بني أميّة كما قيل.

---

(١) سورة يس [٣٦]: ٤٠.

(٢) التوبة [٩]: ٣٦.

ولعلّ لبعض وجوه خيريتها أنّها اختيرت لنزول القرآن، ثمّ بعد ذلك زاد في شرفها بلحاظ وقوع هذا الأمر فيها، وكذلك مايقع فيها في كل سنة من نزول الملائكة لتدبير الأُمور كما في الآية التالية.

﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ ﴿٤﴾

**نزول الملائكة في ليلة القدر:**

من خصائص هذه الليلة ومزاياها أنّها تتنزّل فيها الملائكة، إمّا أنّهم بأجمعهم يتنزّلون، أي كلّ مَلَك ينزل أو المَلَك الذي بعهدته أمر من الأُمور وهو موظّف في نظام العالم وجندي من جنود الرحمن كما هو ظاهر القيد في آخر الآية ﴿من كلّ أمر﴾، الظاهر في أنّ الملائكة الذين هم أُمور كلّ يتصدّىٰ أمراً خاصّاً حسب مأموريّته، فإنّهم لا يعصون أمر ربّهم، فمن كلّ أمر مكلّف وعلىٰ الأكثر مع بعض زملائه ومعاونيه فلا ينزل كلّ الملائكة بل الذين بأيديهم الأُمور، ولذلك كان معهم في هذه المأموريّة والنزول في هذه الليلة رئيسهم وأعظمهم الروح لتنظيمهم وترتيبهم في النزول والصعود ومراقبتهم فيما عليهم طيلة ليلة القدر إلىٰ مطلع الفجر.

وليس هذا النزول للملائكة والروح جُزافاً ومن قِبَل أنفسهم

وبإرادتهم ومشيئتهم، بل ﴿بإذن ربّهم﴾ وأنت تعلم تناسب أسماء الله تعالىٰ وأوصافه مع الأفعال، فلم يقل بإذن الله تعالىٰ أو الخالق والبارئ، فإن الرب وهو ربّ السماوات والأرض وربّ الملائكة والروح وربّ آبائنا الأوّلين وربّ العالمين هو الذي يأذن لهم النزول في ليلة القدر لأنّ في هذا النزول وما عليهم في الليلة حتّىٰ مطلع الفجر ما يرتبط بالربوبيّة ومراقبة نظام عالم الكون والوجود ومنه نظام حياة الإنسان الذي يعيش علىٰ بساط الأرض، ونظام مماته ورزقه وكلّ ما يرتبط به.

فهم ـ أي الملائكة ـ الموظّفون في أُمور العالم، وجنود الرحمن، ينزل من كلّ أمر عدّة منهم مع أعظمهم ورئيسهم الموظّف الأعلىٰ، ينزلون في تلك الليلة بإذن ربّهم وإرادته ومشيئته وإجازته لا من عند أنفسهم.

وبعبارة أُخرىٰ: صريح الآية الشريفة أن في ليلة القدر في كل سنة تنزل الملائكة وينزل معهم الروح جبرئيل أو رئيسهم فإن جبرئيل من الملائكة(١) والملائكة هم من كل أمرٍ وقسم ممّن عليه بعض أُمور

---

(١) عن أبي عبد الله عليه السلام: «إنّ الروح أعظم من جبرئيل، إنّ جبرائيل من

عالم الملك أو الملكوت فإنهم جنود الله(١) وأياديه تعالىٰ في تدبيره من السماء إلىٰ الأرض(٢) فكلّ مَلَك يكون علىٰ عهدته تنظيم أمرٍ أو إجرائه في مجموع نظام العالم يجتمعون في ليلة القدر في الأرض ويأتمرون ويتشاورون أُمور البلاد والعباد من الحوادث الواقعة والتطورات في العالم وعلىٰ الأرض وبين العباد من كل خير وشرٍ إلىٰ موت وحياة ورزق.

فحرف «من» هنا بمعنىٰ اللام أي أن النزول هذا والتجمع والتأمر

---

☜ الملائكة وإنّ الروح هو خلق أعظم من الملائكة أليس الله يقول تنزّل الملائكة والروح...» الكافي: ج١ ص٣٨٦ حديث١.

(١) ﴿... وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾ سورة الفتح[٤٨]: ٤.

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾ سورة الفتح[٤٨]: ٧.

﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ سورة المدثر[٧٤]: ٣١.

(٢) ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ﴾ سورة السجدة[٣٢]: ٥.

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾ سورة الفتح[٤٨]: ٧.

﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ سورة المدثر[٧٤]: ٣١.

في ليلة القدر في الأرض مع حضور كل مَلَك مسؤول وموظف لأمر خاص يختص به لتنظيم البرنامج السنويّ وتدبير أُمور البلاد والعباد، وإن كان يمكن أن يراد به الابتدائيّة والأمر هو الأمر الإلهيّ أي من كل أمرٍ من الأوامر الإلهيّة التي إذا أراد أمراً أن يقول له كن فيكون.

وما قيل من أن الروح النازل مع الملائكة هو الذي أُشير إليه في قوله تعالىٰ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾[1] فغير صحيح لأنّ المسؤول عنه الروح الراجع إلىٰ الإنسان قبال جسمه وبدنه.. الروح الذي يكون حياة الإنسان به ولا يرتبط ذلك بمسألة الملائكة المدبرين والنازلين في تلك الليلة.

وكلّ ذلك لا يكون إلّا ﴿بإذن ربّهم﴾ فالملائكة وإن كانوا من جنود الله تعالىٰ ولهم وظائف خاصّة مؤثّرة في أُمور البلاد والعباد إلّا أنّ نزولهم في تلك الليلة إلىٰ الأرض وهبوطهم عليها والتآمّر لتنظيم الأُمور لم يكن ولا يكون إلّا بإذن الله تعالىٰ حسب الإرادة والاختيارات المطلقة الحاكمة النافذة في جميع مراحل تحقق الأُمور؛ فإنّه تعالىٰ لطيفٌ خبير.

---

(١) سورة الإسراء [١٧]: ٨٥.

يشير إلىٰ ذلك وصف الربوبيّة فإن الآية تصرّح بأنّهم تـنزّلوا بإذن ربّهم، ولم يقل بإذن الله؛ فإن مقتضىٰ الربوبيّة دوام عناية الرب إلىٰ مـربوبه مـن بدء الوجـود إلىٰ نهـاية ظـهور جمـيع القـوىٰ والاسـتعدادات المكـنونة في المـربوب، وتـبدّل القـوّة إلىٰ الفـعل وصيرورته وجوداً كاملاً. ومقتضىٰ ذلك الاستمرار والتـوجه الدائم بالمربوب، إيجاد الشرائط ورفع الموانع حتّىٰ يكون كلّ حركة وفـعل وعمل مؤثّراً في العالم وفي الإنسـان لنظام العـالم الكـلّي المحـيط في الملكوت إلىٰ الملك أو النظام الخاص في الكرة الأرضـية خـصوصاً بالنسبة إلىٰ الآدميين الذين يعيشون عليها كسائر الموجودات الحـيّة مساعداً ومناسباً لذلك الغرض.

فنزول الملائكة ومصاحبة الروح معهم والتأمّر إلىٰ مطلع الفجر ورجوعهم وعودتهم إلىٰ محالهم ومقاماتهم وكلّ ما ينتظمون لتـدبير الأُمور السنويّة لا يكون إلّا بإذن ربّهم وهو الحكيم الخبير اللـطيف القويم تعالىٰ.

**إلىٰ أيّ مكان تنزل وفي أي محلّ تستقرّ الملائكة في ليلة القدر؟**

الملائكة الذين أُمروا بالنزول وهم من كلّ أمر ينزول ويهبطون

بسلام آمنين علىٰ سطح من الأرض الذي يكون عليها ظلمة ويقال عنه ليل ، فإنّهم يتنزّلون فيها، أي في ليلة القدر وهي ليلة واحدة معيّنة في نظام الليالي والأيام وفي شهر رمضان من نظام الشهور التي عدّتها عند الله اثنا عشر شهراً كما عرفت، فلا يكون نزولهم في النهار ولا علىٰ سطح الأرض المحاذي للشمس حيث يكون نهاراً. وهم في تلك الليلة علىٰ سطح الأرض ينزلون ويعرجون ويعملون ما يعملون من وظائفهم حتّىٰ مطلع الفجر.

### إلىٰ مَنْ تتنزل الملائكة؟

والاعتبار كما في روايات الباب يقضي بأن يكون هذا النزول علىٰ سطح الأرض عند أشرف الخلائق وأفضل العباد خليفة الله تعالىٰ في أرضه وحُجّة الله تعالىٰ، فإنّ الأرض لا تخلو عن حُجّة الله وإلّا لساخت بأهلها، فلا معنىٰ لنزولهم علىٰ سطح الأرض ـ وهم موظّفون مأمورون لأمور تشمل أُمور الأرض ومَنْ عليها أيضاً وفي الأرض خليفة الله حيّ موجود إمام وولي يجب علىٰ عباد الله طاعته ـ دون أن يتشرّفوا إليه.

فالحقّ أنّهم ينزلون علىٰ وليّ الله وخليفته وحُجّته علىٰ عباده في

الأرض ويعرضون عليه حاصل تدبيرهم وعملياتهم في أُمورهم، بل عليهم أن يستجيزوا منه ويستأذنوه في ذلك كلّه.

**ماذا تفعل الملائكة في الأرض ليلة القدر؟**

ظاهر العنوان يُشير إلىٰ ما عليهم، فإنّ كلّاً منهم موظّف في أمر وعليه ذلك الأمر وجاء بإذن الرب، فعليهم تنظيم تلك الأُمور والبرنامج السنوي لجميع العوالم سيّما الأرض ومَنْ عليها ولا سيّما الإنسان وما يحتاج إليه في حياته ومماته. وتنظيم البرنامج الكلّي الشامل لجميع الأُمور، لابد وأن يكون متعادلاً في كلّ أمر مع الآخر، فإنّ جمع الأُمور بما هو جمع وبما يرتبط كلّ مع الآخر يؤثّر في نظام العالم وحياة الإنسان وسعادته وشقاوته وكلّ تلك الأُمور لابدّ وأن يُعلم مقدار أمر الآخر وبالعكس ولذلك يلزم اجتماعهم في زمان ومكان ليتمّ تنظيم الأمر بصحّة وهي ليلة القدر وبمحضر خليفة الله تعالىٰ.

وهذا التنظيم نوع اعتبار لابدّ من التصويت عليه وإقراره، ولكلّ منهم في أمره شأن وعليه الإجراء والعمل في وقته، وكلّ ذلك لم يكن خارجاً عن إرادة الله تعالىٰ وإذن الرب ونظام الكلّ في كلّ

الوجود أشرف نظام وأحسن الأنظمة، ولكن مع ذلك كلّه يمحو الله ما يشاء ويُثبت وعنده أمُّ الكتاب، بأن يكون حضور ذلك الاختيار أيضاً في متن النظام الأحسن الأشرف كما فُصّل في محلّه.

وخليفة الله تعالىٰ في أرضه أفضل وأشرف عباده هو الذي يكون وجوده وحياته أيضاً من ضرورة هذا النظام وبه يُمسك السماء أن تقع علىٰ الأرض، فإنّ بدونه لم تكن حركة الإنسان بنوعه إلىٰ ماهو مخلوق له.

وامّا ما أُشير اليه في روايات الباب من إيجاد هذا المؤتمر الملكي الملائكي وتحقّقه في هذه الليلة، الليلة المقدّرة لتلك المقاولات والمعادلات لتلك التدابير في محضر ولي العصر وحُجّة الله وخليفته (عليه الصلاة والسلام وعجّل الله تعالىٰ فرجه الشريف) ليكون ناظراً علىٰ مناظراتهم في الأمور واستدلالاتهم حتّىٰ العزم والتصويت في نهاية المؤتمر لكل المقدّرات.

أو عرض ملخّص التدابير ومحصّل المباحث والعزائم ونتيجة المؤتمر علىٰ الإمامعليه‌السلام حتّىٰ توشيحه ويمضيه، فإنّهعليه‌السلام قطب عالم الإمكان ورحىٰ دائرة الوجود حسب قاعدة إمكان الأشرف، ووجود أفضل فرد الممكن من النوع، ومنه ينحدر كلّ خير ورحمة

وبركة عن المبدأ الأعلىٰ ومالك الملوك وآمر الجنود حسب قاعدة تناسب الصادر والمصدر.

ولابدّ وأن يَعْلَم ويطّلع علىٰ كل التدابير والمقادير سنوياً كانت أو سنين كما لابدّ وأن يعلم كل وليّ حاكم وأميرٍ وإلىٰ البرامج التي أُعدّت للإجراء حتّىٰ التدابير الجزئيّة في الجملة ليكون متوافقاً مع التدابير الشاملة الكلّية.

وعليه فالملائكة والروح بعد تأمّرهم وتدبيرهم من كلّ أمر للعالم وعلىٰ الأقلّ للعباد والبلاد عليهم أن يعرضوها علىٰ الإمام حتّىٰ يُسجّلها ويمضيها.

وكذلك ما تشير إليه روايات باب عرض الأعمال علىٰ الإمام وسروره عليه السلام إذا كانت حسنة خلافاً لما إذا كانت سيّئة أو أكثرها سيئة، وكذلك روايات باب علم الإمام عليه السلام أو علمهم إذا شاءوا أن يعلموا[١].

كلّ ذلك وإن كان يساعد عليه الاعتبار ونظام الخلقة بعد روايات الباب المتواترة معنوياً علىٰ الأقل، إلّا أنه لا يستفاد شيء من

---

(١) راجع أصل تلك الروايات في باب الحجة من الكافي والوافي وغيرهما.

ذلك من الروايات، إلّا أنها تأويل أو ذكر مصداق. فـإن ذلك كـلّه يكون في سلامة الليل بنفسها من أوّلها إلىٰ طلوع الفجر كما لا يخفىٰ.

كما أنّ الروايات الدالّة علىٰ نزول الشياطين علىٰ أئمّة الضلال في كلّ يوم وليلة إلّا في ليلة القدر تكون أيضاً من التأويل وذكر المصداق فإنّه إذا كان من خواص تلك الليلة السلام مـن أوّلهـا إلىٰ آخـرها فلا وجه لنزول الشيطان وجنوده إلىٰ أئمّة الضلال فتوجه.

ولم يكن وجه لبقاء السماء والأرض علىٰ نظامهما الذي يتمكن الإنسان أن يوجد ويعيش عـلىٰ وجـه الأرض كـما فـعل في مـعنىٰ لولا الحُجّة لساخت الأرض بأهلها، في محلّه فهذا الذي يرىٰ ويلاحظ البرنامج الذي انتظم بأيدي الملائكة، فإن كان كاملاً في نظره الشريف يؤيّده لأنّ الأُمور اليه وإليه الأمر، فتوجّه.

**﴿سلامٌ هي حتّىٰ مطلع الفجر﴾ (٥)**

**خصيصة أُخرىٰ لليلة القدر:**

من المعلوم انّ كلمة سلام تحيّة لأهل الأديان في لقاءاتهم فيُسلّم بعضهم علىٰ بعض ويقول سلام عليكم، قال تعالىٰ: **﴿دَعْوَاهُـمْ فِـيهَا**

﴿سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾(١).

قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾(٢).

إلّا أنّ ذلك لا يكون إلّا لدلالته علىٰ السلامة والرحمة والرأفة، فإنّه اسم من أسماء الله تعالىٰ أوّلاً كما ذكره في قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(٣).

وأنت تعلم أن كلّ مافي الوجود لا يكون إلّا من ناحية أحد أسمائه المتناسبة معه، فإنّ مقتضىٰ الرؤوف الرحيم غير الجبّار المتكبّر، ومقتضىٰ السلام ليس إلّا السلامة والصحّة والخير كما في آيات كثيرة: مثل: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾(٤) إلىٰ

---

(١) يوسف [١٢]: ١٠.

(٢) الأنعام [٦]: ٥٤.

(٣) الحشر [٥٩]: ٢٢ ـ ٢٣.

(٤) مريم [١٩]: ١٥.

قوله تعالىٰ: ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ﴾(١).

ولذلك قد يتّصف مكان بسلام فيقال له دار السلام.

قال تعالىٰ: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ﴾(٢).

فلا تختصّ كلمة السلام بالتحيّة مع أنّها لها واستعملت كثيراً فيها في القرآن الكريم، وتجب في الصلاة للخروج عنها بما هو كلام الآدميين، بل الأصل الأولىٰ في معناه السلامة والخير.

وهناك قد اتّصفت الزمان بالوصف وقيل سلامٌ هي أي ليلة القدر سلام ولا يناسب قول التحيّة وإن كان لا يبعد أن يكون تحيّة الملائكة النازلين السلام بعضهم علىٰ بعض أو علىٰ أهل الأرض أيضاً ولكن لا وجه، لأن يختصّ بذلك، فإنّه خلاف ظاهر توصيف الليل به فقد يقال إنّ اليوم كان مباركاً وخيراً لما اغتنمنا فيه الخير والبركة أو الليلة كانت مباركة كذلك.

وحينئذ فإن قلنا بأنّ ليلة القدر ليلة سلام أي لا يقع فيها إلاّ الخير علىٰ منظر عامّة الناس فأنت تعلم أنّه ليس كذلك وكثيراً ما يقع

(١) هود [١١]: ٤٨.

(٢) يونس [١٠]: ٢٥.

في تلك الليلة حوادث ومكاره عظيمة أو الذنوب والآثام من الناس ـ أعاذنا الله منها ـ وإن كان علىٰ منظر الخالق وفي النظام الأكمل لا يوجد في العالم شرّ بل الشر هو العدم(١).

فالحقّ الأقرب أن يقال ـ والله العالم ـ إن معنىٰ سلامٌ هي أنّ الليلة بعد ما تنزل فيها الملائكة علىٰ سطح الأرض وفي محضر خليفة الله تعالىٰ للخير والسلامة ونفس هذا النزول سلام أوّلاً، ثمّ هم يعملون بما قد أُمروا به لتنظيم الأُمور وتقديرها علىٰ وجه نظام الأشرف الأكمل وذلك لا يكون إلّا سلاماً وخيراً ثانياً، وفي هذه الليلة تُغفر الذنوب وتحبى العطايا من الله تعالىٰ بالنسبة إلىٰ العباد مالم يغفر ولم يعط في غيرها من الليالي والأيام وذلك سلامٌ وخيرٌ ثالثاً.

سيّما أن الحالة باقية إلىٰ مطلع الفجر، وتلك البركات والخيرات من أوّل الليلة إلىٰ آخر طلوع الفجر، بحيث يُنادي في آخرها الملائكة: هل من تائب يتوب؟ هل من مستغفر يأتي إلىٰ باب الرحمن؟ وهل من؟ وهل من؟ حتّىٰ كأنّ الأرض قد طُهّرت من رجس الشيطان

---

(١) قال المحقّق السبزواري في منظومته:

الشرّ إعدام فكم

قد ضلّ مَنْ يقول باليزدان ثمّ الأهرمن

وذنب الإنسان وقد فُتّحت أبواب الرحمة والجـنان وسُـدّت أبـواب الجحيم والنيران، كما فُصّل ذلك في روايات الباب. وهل السلامة في الليلة تكون أكثر من ذلك؛ ولذلك اتّصفت بالسلام، فهي سلامٌ، وسلام هي حتّىٰ مطلع الفجر.

وبعبارةٍ أُخرىٰ: هذه الآية أيضاً بصدد بيان فضيلة أُخرىٰ لهذه الليلة وهي أنّها سلامٌ من أوّلها إلىٰ آخرها من غروب الشـمس إلىٰ طلوع الفجر، وظاهر الآية بل صريحها أنّها بنفسها سلام وليس لأنّ فيها تُسلّم الملائكة علىٰ أهل الأرض والعباد الذين يعبدون الله تعالىٰ ويتضرّعون اليه، لا لسلام العباد بعضهم علىٰ بعض تهنئةً، ثمّ أُطـلق علىٰ هذه الليلة لكثرة التسليم فيها من الملائكة عـلىٰ العـباد أو هـم بعضهم علىٰ بعض، وسلامة الليلة أمرٌ وقول السلام فيها أمـر آخـر، والمقام يؤيّد ظاهرها وأنّ السلام والسلامة لنفس الليلة وإن كان ذلك لبركة فيها ولطف وعناية من الله تعالىٰ علىٰ عباده بعفوهم والرحمـة عليهم، ويؤيّد ذلك بل يدلّ عليه كلام الإمام السجاد عليه السلام في دعائه إذا دخل شهر رمضان:

«اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي هَدَانَا لِحَمْدِهِ، وَجَعَلَنا مِنْ أَهْلِهِ لِنَكُونَ لِإِحْسَانِهِ مِنَ الشَّاكِرِينِ وَلِيَجْزِيَنا عَلىٰ ذٰلِكَ جَزَاءَ الْـمُحْسِنِين، وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذي حَـبَانَا

بِدِينِهِ وَاخْتَصَّنَا بِمِلَّتِهِ وَسَبَّلَنا فِي سُبُلِ إحْسَانِهِ لِنَسْلُكَهَا بِمَنِّهِ إلىٰ رِضْوانِهِ حَمْداً يَتَقَبَّلُهُ مِنَّا وَيَرضىٰ بِهِ عَنَّا، وَالْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي جَعَلَ مِنْ تِلْكَ السُّبُلِ شَهْرَهُ شَهْرَ رَمَضَانَ شَهْرَ الصِّيَامِ وَشَهْرَ الإِسْلَامِ وَشَهْرَ الطُّهُرِ وَشَهْرَ التَّمْحِيصِ وَشَهْرَ الْقِيَامِ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدىٰ وَالْفُرْقَانِ...

ثُمَّ فَضَّلَ لَيْلَةً وَاحِدَةً مِنْ لَيَالِيهِ علىٰ لَيَالِي أَلْفِ شَهْرٍ وَسَمّاهَا لَيْلَةَ الْقَدرِ تَتَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ دائِمُ الْبَرَكَةِ إلىٰ طُلُوعِ الْفَجْرِ عَلىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ بِمَا أَحْكَمَ مِنْ قَضَائِهِ» انتهىٰ.

فإنّ الإمام عليه السلام في توصيفه ليلة القدر وتفسيره لقوله تعالىٰ: ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ قال: سلامٌ دائم البركة وهذا الوصف لا ينطبق علىٰ قول سلام تحيةً بل معناه أن الليلة ليلة سلام وبركة، ليلة رحمة ونعمة من أولها حتّىٰ مطلع الفجر.

ومن المعلوم أنّ ذلك لا ينافي السلام تحيّة من الله تعالىٰ أو من الملائكة علىٰ العباد واستجابة أدعيتهم وتقدير الخير والبركة لهم، وكيف كان فالآية تُبيّن وصفاً آخر لليلة القدر وأنّها سلام كامل وسلامة ورحمة وخير وبركة كان وجهه ذلك ما كان.

اللّهمّ لا تحرمنا بركاتها وسلامها، وارزقنا سلامها وخيرها بما تعطي عبادك الصالحين المصلحين.

ولنختم البحث في سورة القدر بما ورد عن أئمّة الهُدىٰ عليهم السلام في مطايا آياتها وما أجابوا عن الأسئلة الراجعة إليها ودرايتها إن شاء الله بتوفيق منه تعالىٰ وتأييد منهم ودعاء من حُجّة الله تعالىٰ علىٰ أرضه عجّل الله تعالىٰ فرجه الشريف، فنقول:

## بحث روائي

في المقام روايات كثيرة من الطريقين والفريقين في معنىٰ القدر وليلته وخيريّته من ألف شهر ونزول الملائكة ومعنىٰ الروح وغيرها وقد جمعها صاحب الميزان في بحث روائي ذيل الآيات[1] وكثيراً منها ذكرها صاحب المجمع رحمه الله نذكر روايتين بما يوضّح كثيراً ممّا ذكرنا ومن شاء أكثر فليراجع:

١ ـ في المجمع روىٰ ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: (إذا كان ليلة القدر تنزل الملائكة الذين هم سُكّان سدرة المنتهىٰ ومنهم جبرئيل ومعه ألوية يُنصب لواء منها علىٰ قبري ولواء علىٰ بيت المقدس ولواء في المسجد الحرام ولواء علىٰ طور سيناء ولا يدع مؤمناً

(١) الميزان: ج ٢٠، ص ٣٣٥.

ولا مؤمنة إلّا سلّم عليه إلّا مدمن الخمر وآكل لحم الخنزير والمتضخ بالزعفران...

فتدلّ أوّلاً علىٰ أنّ الملائكة الذين ينزلون ليلة القدر ليس كلّ الملائكة بل سُكّان سدرة المنتهىٰ وقد استفدنا من ذيل الآية أنّهم هم الذين في عهدتهم أمر من الأُمور وجمعهم من كلّ أمر.

وثانياً: أنّ جبرئيل منهم وهو غير الروح وإن كان مقامه أرفع من كثير من كثير منهم، فإنّ معه الوية ينصب كلّاً منها علىٰ محلّه والروح أعظم منه ومن الملائكة فهو رئيسهم كما أشرنا اليه.

وأمّا نصب اللواء في الأمكنة المقدّسة الأربعة الحرمين الشريفين والقبلتين وطور سيناء فأوّل دليل علىٰ أنّ الليلة كما قلنا هي الليلة التي تكون في أحد طرفي الأرض حينها وفي طرفه الآخر النهار موجود. والليلة الواحدة تجمع الأمكنة الأربعة المقدّسة.

وهناك سلام علىٰ كلّ مؤمن ومؤمنة في المنطقة إلّا ما استثني في هذه الليلة حتّىٰ مطلع فجرها فتنتهي وظيفة الملائكة ويصعدون إلىٰ محالّهم ولا تعدد في الليلة.

وأمّا حقيقة الألوية ونصبها علىٰ تلك الأمكنة المقدّسة وإعلام السلام علىٰ كلّ مؤمن ومؤمنة، فلا يخفىٰ علىٰ مَنْ كان له قلب أو القىٰ

السمع وهو شهيد.

وفي تفسير البرهان عن سعد بن عبد الله بإسناده عن أبي بصير قال: كنت مع أبي عبد الله عليه السلام فذكر شيئاً من أمر الإمام إذا وُلد فقال: استوجب زيارة الروح في ليلة القدر. فقلت: جُعلتُ فداك أليس الروح هو جبرائيل؟

فقال عليه السلام: «جبرئيل من الملائكة والروح أعظم من الملائكة أليس الله عزّ وجلّ يقول تنزّل الملائكة والروح» انتهىٰ[١].

ودلالتها علىٰ ما ذكرنا من نزولهم علىٰ خليفة الله ووليّ العصر وبقيّة الله تعالىٰ في زماننا هذا أصرح من كلّ شيء بعد صراحتها في أنّ الروح غير جبرائيل وأنّه من الملائكة والروح أعظم، فهو رئيسهم، فإنّ قول الإمام عليه السلام في المقام استوجب الإمام عليه السلام زيارة الروح في ليلة القدر صريح في نزولهم عليه فينحلّ ما أُشير اليه، فإنّه عليه السلام لا يكون في الليلة إلّا في نقطة واحدة والملائكة ينزلون مع الروح عليه فافهم.

---

(١) الكافي: ج ١، ص ٣٨٦، ح ١.

هذا تمام ما وفّقنا الله تعالىٰ لكتابته في ضوء السـورة في شهـر رمضان وليلة القدر والله تعالىٰ عالمٌ بحقائق الأُمور.

والحمدُ لله أوّلاً وآخراً وقد فرغنا عن تسويد هذه السطور آخر شهر رمضان وأوّل شهر شوّال عـيد الفـطر المـبارك سـنة عـشرين وأربعمائة بعد الألف من الهجرة علىٰ صاحبها آلاف التحيّة، جعلها الله تعالىٰ ذخراً ليوم المعاد يوم لا ينفع مال ولا بنون، ان شاء الله تعالىٰ.

**محمّد اليزدي**

**١٧/١٠/٧٨ هـ. ش**

**أوّل شوال ١٤٢٠ هـ.ق**